فقـــل لم يدعـــي في العلـــم فلسفـــة حفظـت شـيئاً.. وغابـت عنـك أشـياء
لا تحظـر العفـو ان كنـت أمـرءاً حرجـاً فـإن حظـرك كلـه في الـدين إزراء

وهم لا يخطئون غالباً إلا مغرضين.. وذلك عندما تعميهم اللهفة والحرص الطائش على تحقيق أهدافهم قبل الأوان.. أو يفيض في نفوسهم الحقد العريق الذي يمد لهم مداً في اليأس من كل خير في الضمير البشري.. فيتساهلون مضطرين في اختيار الأسس والوسائل القوية لهذه الغايات.. وندر ما نظروا إلى شيء إلا وعيونهم مكحولة بل مغشاة بالأهواء الجامحة.. ولذلك قلما تسلم لهم خطة تامة إلى أمد بعيد.

عناصر المؤامرة الصهيونية

إن المجال لا يسمح بذكر كل عناصر المؤامرة كما جاءت في البروتوكولات.. وحسبنا الأشارة إلى ما يأتي منها:

- لليهود منذ قرون خطة سرية غايتها الاستيلاء على العالم أجمع.. لمصلحة اليهود وحدهم.. وكان ينقحها حكماؤهم طوراً فطوراً حسب الأحوال.. مع وحدة الغاية.
- تتضح هذه الخطة السرية بماعُرِفَ عن اليهود من الحقد على الأمم لا سيما المسيحيين.. والضغن على الأديان لا سيما المسيحية.. كما تتضح بالحرص على السيطرة العالمية.
- يسعى اليهود لهدم الحكومات في كل الأقطار.. والاستعاضة عنها بحكومة ملكية استبدادية يهودية.. ويهيئون كل الوسائل لهدم الحكومات لاسيما الملكية. ومن هذه الوسائل إغراء الملوك باضطهاد الشعوب.. وإغراء الشعوب بالتمرد على الملوك.. متوسلين لذلك بنشر مبادئ الحرية والمساواة.. ونحوها مع تفسيرها تفسيراً خاصاً يؤذي الجانبين.. وبمحاولة إبقاء كل من قوة الحكومة وقوة الشعب متعاديتين.. وإبقاء كل منها في توجس وخوف دائم من الأخرى.. وإفساد الحكام وزعماء الشعوب.. ومحاربة كل ذكاء يظهر بين الأمميين[1]

[1] هو لفظ سنتخدمه بعد ذلك كثيراً بمعنى (غير اليهود).

مع الاستعانة على تحقيق ذلك كله بالنساء والمال والمناصب والمكايد.. وما إلى ذلك من وسائل الفتنة. ويكون مقر الحكومة الإسرائيلية في أورشليم أولاً.. ثم تستقر إلى الأبد في روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية قديماً.

- إلقاء بذور الخلاف والشغب في كل الدول.. عن طريق الجمعيات السرية السياسية والدينية والفنية والرياضية والمحافل الماسونية.. والأندية على اختلاف نشاطها.. والجمعيات العلنية من كل لون.. ونقل الدول من التسامح إلى التطرف السياسي والديني.. فالإشتراكية.. فالإباحية.. فالفوضوية.. فاستحالة تطبيق مبادئ المساواة.
- هذا كله مع التمسك بابقاء الأمة اليهودية متماسكة بعيدة عن التأثر بالتعاليم التي تضرها.. ولكنها تضر غيرها.
- يرون أن طرق الحكم الحاضرة في العالم جميعاً فاسدة.. والواجب لزيادة إفسادها في تدرج إلى أن يحين الوقت لقيام المملكة اليهودية على العالم لا قبل هذا الوقت ولا بعده. لأن حكم الناس صناعة مقدسة سامية سرية.. لا يتقنها في رأيهم إلا نخبة موهوبة ممتازة من اليهود الذين اتقنوا التدرب التقليدي عليها.. وكشفت لهم أسرارها التي استنبطها حكماء صهيون من تجارب التاريخ خلال قرون طويلة.. وهي تمنح لهم سراً.. وليست السياسة بأي حال من عمل الشعوب أو العباقرة غير المخلوقين لها بين الأمميين.
- يجب أن يُساس الناسُ كما تُساس قطعان البهائم الحقيرة.. وكل الأمميين حتى الزعماء الممتازين منهم إنما هم قطع شطرنج في أيدي اليهود تسهل استمالتهم واستعبادهم بالتهديد أو المال أو النساء أو المناصب أو نحوها.
- يجب أن توضع تحت أيدي اليهود كل وسائل الطبع والنشر والصحافة والمدارس والجامعات والمسارح وشركات السينما ودورها والعلوم والقوانين والمضاربات وغيرها.

- لأن الذهب الذي يحتكره اليهود هو أقوى الأسلحة لإثارة الرأي العام وإفساد الشبان والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسرة.. وإغراء الناس بالشهوات والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسرة.. وإغراء الناس بالشهوات البهيمية الضارة.. وإشاعة الرذيلة والانحلال.. حتى تستنزف قوى الأمميين استنزافاً.. فلا تجد مفراً من القذف بأنفسها تحت أقدام اليهود.
- وضع أُسس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود.. لا على أساس قوة العمل والإنتاج والثروات الأخرى.. مع تعمد أحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام كي لا يستريح العالم أبداً.. فيضطر إلى الاستعانة باليهود لكشف كروبه.. ويرضى صاغرا مغتبطاً بالسلطة اليهودية العالمية.
- الاستعانة بأمريكا والصين واليابان على تأديب أوروبا وإخضاعها.
- أما بقية خطوط المؤامرة فتتكفل بتفصيلها البروتوكولات نفسها.

قرارات المؤتمر الصهيوني الأول واختلاس البروتوكولات:

عقد زعماء اليهود ثلاثة وعشرين مؤتمراً منذ سنة ١٨٩٧حتى سنة ١٩٥١ وكان آخرها هو المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة في ١٤ أغسطس سنة ١٩٥١ ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل وحدودها.. وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعاً دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية.

أما أول مؤتمراتهم فكان في مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ برئاسة زعيمهم (هرتزل[1]) وقد اجتمع فيه نحو ثلثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين

(١) تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ٣ يوليو ١٩٠٤) هو صحفي يهودي نمساوي مَجَرِيُ.. مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة.. وُلِدَ في بودابست وتوفي في إدلاخ بالنمسا حصل على الدكتوراه في القانون سنة ١٨٨٤ ثم اشتغل بعدها فترة قصيرة في محاكم فيينا وسالتسبورج.. ثم توجه إلى الأدب والتأليف.. وبداية من سنة ١٨٨٥ نشر مجموعة من القصص الفلسفية. كما كتب عدداً من المسرحيات التي لم تلق نجاحا كبيراً.. اشتغل هرتزل أيضاً بالصحافة في باريس وهناك بدأت تتشكل أفكاره الصهيونية في فترة ازدادت فيها معاداة السامية ورغبة اليهود في اثبات وجودهم كشعب يبحث عن بديل.. الإجابة كانت في الكتيب الذي انتهى من تأليفه يوم ١٧ يونيو ١٨٩٥ والذي نشر سنة ١٨٩٦ تحت عنوان " Der (دولة اليهود).. وإن لم يجد الكتيب صدى واسع في البداية إلا أنه وضع بالفعل حجر الأساس لظهور الصهيونية

جمعية يهودية.. وقد قرروا في المؤتمر خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود.. وكانت قراراتهم فيه سرية محوطة بأشد أنواع الكتمان والتحفظ إلا عن أصحابها بين الناس.. أما غيرهم فمحجوبون عنها ولو كانوا من أكابر زعماء اليهود.. فضلاً عن فضح أسرارها سراً.. وأن كان فيما ظهر منها ما يكشف بقوة ووضوح عما لا يزال خافياً.

فقد استطاعت سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بزعيم من أكابر رؤسائهم في وكر من أوكارهم الماسونية السرية في فرنسا - أن تختلس بعض هذه الوثائق ثم تفر بها.. والوثائق المختلسة هي هذه البروتوكولات التي بين أيدينا.

وصلت هذه الوثائق إلى (أليكس نيقولا) كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية في عهد القيصرية.. فقدر خطورتها ونياتها الشريرة ضد العالم لا سيما بلاده.. ثم رأى أن يضعها في أيدي أخرى أمينة أقدر من يده على الانتفاع بها ونشرها.. فدفعها إلى صديقه العالم الروسي (سرجي نيلوس) الذي لا شك أنه درسها دراسة دقيقة كافية.. وقارن بينها وبين الأحداث السياسية الجارية آنذاك فأدرك خطورتها.. واستطاع من جراء هذه المقارنة أن يتنبأ بكثير من الأحداث الخطيرة التي وقعت بعد ذلك بسنوات والتي كان لها دوي هائل في جميع العالم.. كما كان لها أثر في توجيه تاريخه وتطوراته.. ومن بين هذه النبوءات التى تحققت فيما بعد:

- زوال القيصرية في روسيا..
- نشر الشيوعية فيها..
- حكمها حكماً استبدادياً غاشماً ..

السياسية وتأسيس الحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية بين ٢٩ و٣١ أغسطس ١٨٩٧ وانتخاب هرتزل رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية.. بعد ذلك بدأ هرتزل عدة محادثات مع شخصيات عديدة من دول مختلفة بحثاً عن مؤيدين للمشروع الصهيوني.. لكن جهوده فشلت.. وتركت المجال مفتوحاً لمواصلة العمل على تأسيس الدولة.. وكان لديه ثلاث أبناء جميعهم ماتوا بشكل مأساوي.. ابنته بولين: عانت من الأمراض العقلية وإدمان المخدرات.. توفيت في عام ١٩٣٠ وهي في سن ٤٠ ابنه هانز: انتحر (بالرصاص) يوم جنازة شقيقته وكان في سن ٣٩ ابنته مارجريت (كانت مريضة نفسياً) وقضت سنوات طويلة في المستشفيات.. ثم أخذها النازيون لمحارق الهولوكوست.. وتُوُفِيَت وأحرقت جثتها بعد اغتصابها.

- اتخاذها مركزاً لنشر المؤامرات والقلاقل في العالم..
- سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدي اليهود قبل تأسيس إسرائيل.
- عودة اليهود إلى فلسطين وقيام دولة إسرائيل فيها..
- سقوط الملكيات في أوروبا وقد زالت الملكيات فعلاً في ألمانيا والنمسا ورومانيا وأسبانيا وإيطاليا..
- حدوث حروب عالمية لأول مرة في التاريخ يخسر فيها الغالب والمغلوب معاً ولا يظفر بمغانمها إلا اليهود. وقد نشبت منها حربان.. واليهود يهيئون الأحوال الآن لنشوب الثالثة.. فنفوذ اليهود في أمريكا لا يعادله نفوذ أقلية.. ثم أنهم أهل سلطان في روسيا.. وهاتان الدولتان أعظم قوتين عالميتين.. واليهود يجرونهما إلى الحرب لتحطيمهما معاً.. وإذا تحطمتا ازداد طمع اليهود في حكم العالم كله حكماً مكشوفاً بدل حكمهم إياه حكماً مقنعاً..
- نشر الفتن والقلاقل والأزمات الاقتصادية دولياً.. وبنيان الاقتصاد على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود..

وغير ذلك من النبوءات كثير.. وكل ذلك مدون تفصيلاً في المقدمة والتعقيب اللذين كتبهما هو للبروتوكولات.. وهما مترجمان في طبعتنا هذه.. وجميع ذلك يدل على إحاطة الرجل خبراً بحوادث زمانه.. وحسن دراسته للبروتوكولات.. وبعد نظره السياسي.

ذعر اليهود لنشر البروتوكولات وأثر ذلك

وقع الكتاب في يد نيلوس سنة١٩٠١ وطبع منه نسخاً قليلة لأول مرة بالروسية سنة ١٩٠٢ فافتضحت نيات اليهود الإجرامية.. وجنّ جنونهم خوفاً وفزعاً.. ورأوا العالم يتنبه إلى خططهم الشريرة.. وعمت المذابح ضدهم في روسيا حتى قتل في إحداها هناك نحو عشرة آلاف.. واشتد هلعهم لذلك كله.. فقام زعيمهم الكبير الخطير تيودور هرتزل يلطم ويصرخ لهذه الفضيحة.. وأصدر عدة نشرات يعلن فيها أنه قد سرقت من (قدس الأقداس) بعض الوثائق السرية التي قُصِدَ إخفاؤها حتى على أعاظم اليهود.. وأن ذيوعها قبل الأوان يعرض اليهود في العالم لشر النكبات.. وهب اليهود في كل مكان يعلنون

أن البروتوكولات ليست من عملهم.. لكنها مزيفة ومدسوسة عليهم.. ولكن العالم لم يصدق مزاعم اليهود للاتفاقات الواضحة بين خطة البروتوكولات والأحداث الجارية في العالم يومئذ.. وهذا التوافق لا يمكن أن يحدث مصادفةً لمصلحة اليهود وحدهم.. وهي أدلة بينة أو قرائن أكيدة لا سبيل إلى إنكارها أو الشك فيها.. فانصرف الناس عن مزاعم اليهود.. وآمنوا إيماناً وثيقاً أن البروتوكولات من عملهم.. فانتشرت وانتشرت تراجمها إلى مختلف اللهجات الروسية.. وانتشرت معها المذابح والاضطهادات ضد اليهود في كل أنحاء روسيا حتى قُتِلَ منهم ذات مرة ـ كما قلنا ـ عشرة آلاف.. وحوصروا في أحيائهم كما قدمنا.

واستمات اليهود في الدفاع عن أنفسهم.. وسمعتهم المهتوكة.. وجدوا في إخفاء فضيحتهم أو حصرها في أضيق نطاق.. فأقبلوا يشترون نسخ الكتاب من الأسواق بأي ثمن.. ولكنهم عجزوا.. واستعانوا بذهبهم ونسائهم وتهديداتهم ونفوذ هيئاتهم وزعمائهم في سائر الأقطار الأوروبية لا سيما بريطانيا لكي تضغط على روسيا دبلوماسياً لإيقاف المذابح ومصادرة نسخ الكتاب علنياً.. فتم لهم ذلك بعد جهود جبارة.

ولكن نيلوس أعاد نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة ١٩٠٥ ونفذت هذه الطبعة في سرعة غريبة بوسائل خفية.. لأن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها.. ثم طُبِعَ سنة ١٩١١ فنفذت نسخه على هذا النحو.. ولما طُبِعَ سنة١٩١٧ صادره البلاشفة الشيوعيون الذين استطاعوا في تلك السنة تدمير القيصرية.. والقبض على زمام الحكم في روسيا.. وكان معظمهم من اليهود الصرحاء أو المستورين أو من صنائعهم.. ثم اختفت البروتوكولات من روسيا بعدها تماماً.

وكانت قد وصلت نسخة من الطبعة الروسية سنة ١٩٠٥ إلى المتحف البريطاني في لندن ختمت بخاتم المتحف.. وسجل عليها تاريخ تسلمها (١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦) وبقيت النسخة مهملة حتى حدث الانقلاب الشيوعي في روسيا سنة ١٩١٧ فوقع اختيار جريدة (المورننج بوست Morning Post) على مراسلها (فكتور مارسدن) ليوافيها بأخبار الانقلاب الشيوعي من روسيا.. واطلع قبل سفره على عدة كتب روسية كانت

من بينها البروتوكولات الموجودة بالمتحف البريطاني.. فقرأ النسخة وقدر خطرها.. ورأى - وهو في سنة ١٩١٧ - نبوءة ناشرها الروسي نيلوس بهذا الانقلاب سنة ١٩٠٥ أي قبل وقوعه بإثنتي عشرة سنة كاملة.. فعكف المراسل في المتحف على ترجمتها إلى الإنجليزية ثم نشرها.. وأعيد طبعها مرات بعد ذلك كانت الأخيرة والخامسة منها سنة ١٩٢١ (ومنها نسختنا).. ثم لم يجرؤ ناشر في بريطانيا ولا أمريكا على طبعها بعد ذلك كما يقول مؤرخ إنجليزي معاصر هو العلامة (دجلاس ريد) في كتابه على الحركات السرية المعاصرة.

وفي سنة ١٩١٩ تُرجِمَ الكتاب إلى الألمانية.. ونُشِرَ في برلين.. ثم توقف طبعه بعد أن جمعت أكثر نسخه.. وكان هذا مظهراً من مظاهر نفوذ اليهودية في ألمانيا.. قبل انتصارها عليها بعد الحرب العالمية الأولى.. كما انتصرت عليها خلالها.. إذ كانت ألاعيبها ودسائسها قد امتدت أثناء الحرب من الساسة إلى قادة الجيوش والأساطيل بين الألمان.. وكانت سبباً من أكبر أسباب هزيمة ألمانيا في تلك الحرب الضروس.. ومن أظهر آيات ذلك انسحاب الأسطول الألماني وهو منتصر ظاهر أمام الأسطول الإنجليزي في معركة (جتلاند) وقد استشهد البريطان في مقدمة طبعتهم الخامسة للبروتوكولات على صحة نسبتها إلى اليهود وسعيهم وفق خططها ببيانات هذه المعركة ونتيجتها.. وأن كانوا قد بالغوا حين حملوا اليهود كل مسؤوليات الحرب العالمية الأولى.. ومصرع روسيا.. وهزيمة ألمانيا.. وما أعقب الحرب من ويلات عاتية.. شملت كل بقاع الأرض.

ومع محاولات اليهود الجبارة إخفاء أمر البروتوكولات عن العيون انتشرت تراجمها بلغات مختلفة في فرنسا وإيطاليا وبولونيا وأمريكا عقب تلك الحرب.. وعم انتشارها وأثرها في تلك البلاد.. ولكن سرعان ما كانت تختفي دائماً من المكتبات بأساليب محيرة حيثما تظهر.. فلما عجزوا بشتى أساليبهم عن ذلك أحرقوا المطابع التى كانت تتولى طباعتها.

ومن المتعذر أن نتتبع رحلة هذا الكتاب العجيب في بلاد العالم بين الظهور والاختفاء. ولكنا نشير فقط إلى بعض وقائعه في بريطانيا وهي مثل يدل على سواه.. وحسبنا هنا

أن نصور قطرات مما سالت به أقلام كتابها حول البروتوكولات عقب الحرب العالمية الأولى التي طالت نيرانها معظم أمم العالم كبارها وصغارها.. وبددت في سعيرها كثيراً من كنوز شبابها وأخلاقها وعقائدها وروابطها وأموالها.. ولم يخرج منها سالماً غانماً إلا اليهود.. حتى رأى أحد كتاب البريطان أن الهتاف الصحيح يومئذ هو (اليهودية فوق الجميع Jewry ueber Alles) لا هتاف الغرور (ألمانيا فوق الجميع) الذي جعلته ألمانيا شعارها أيام ازدهارها عقب انتصارها على فرنسا في الحرب السبعينية[1] ومناداتها بملك بروسيا إمبراطوراً على ألمانيا في حفل تتويجه بقصر فرساي في قلب فرنسا.. ثم ضمنت ألمانيا هذا الشعار نشيدها القومي وجعلته عنواناً له.. ولم يزل كذلك حتى هُزِمت في تلك الحرب.

وقد نعى الكاتب البريطاني على أمته يومئذ مقاومتها الخطر الألماني الذي غلبته في تلك الحرب دون الخطر اليهودي الذي أهملته وأن كان أخفى وأكبر.. وكذلك وجه نظر أمته يومئذ إلى الصلات القوية بين البروتوكولات الصهيونية وسقوط روسيا في أيدي البلاشفة - ومعظمهم من اليهود - عقب مصرع القيصرية فيها.. وقد أحدث سقوطها يومئذ من الدوي في آذان البشر.. ومن الروع في نفوسهم ما يحدثه منظر جبل يخر في بحر زاخر فيتتابع إرغاؤه وازباده.. وكانت بوادر الفظائع البلشفية اليهودية في روسيا تؤرق أجفان الأمم الحرة توجعاً لشعبها الهائل المسكين الذي كان يتقلى في رمضاء القيصرية.. ويتفزز للنجاة منها.. فوقع في جحيم الشيوعية اليهودية.. ولاح بعد ظهور البروتوكولات - أبان تسعر تلك الجحيم بضحاياها - إن خططها تطبق في وحشية على ذلك الشعب المسكين.. وتمتد ألسنتها سراً وجهراً إلى سائر الشعوب الأوروبية.. ولا سيما الشعوب التي تتاخم روسيا أو تدانيها في أوروبا الشرقية والوسطى.. عن طريق إثارة القلاقل والفتن والإضرابات والاغتيالات للقضاء على كل قوة وطنية وإنسانية فيها كي تخر ذليلة مستسلمة تحت أقدام البلشفية اليهودية.

---

(١) الحرب السبعينية نسبةً للعام الذى اندلعت فيه وهو عام ١٨٧٠ وكانت بين فرنسا وألمانيا.. وكان من آثارها اضطراب الأسواق في أوروبا.. وكان الاقتصاد العالمي على وشك الانهيار..

وكذلك تنبه بعض الكتاب الذين قارنوا بين تلك الفظائع البلشفية والبروتوكولات الصهيونية فسموا البروتوكولات (الإنجيل البلشفي) بما لاحظوا بينها من توافق عجيب..

كما لاحظ كاتب إنجليزي مناورات اليهود للتشكيك في نسبة الكتاب إليهم.. ففند مزاعمهم بحجج كثيرة: منها ذلك التوافق العجيب بين نبوءات البروتوكولات في سنة ١٩٠٥ وتلك الويلات التي رمى بها اليهود العالم كفتنة البلشفية اليهودية وغيرها من الفتن في روسيا وسائر البلاد الأوروبية.. ودعا الكاتب مواطنيه وسائر الأمم المسيحية إلى الحذر من عواقب هذه الفتنة الوحشية العمياء التي أثاروها في أوروبا ولا سيما روسيا.. ولكن خطر البلشفية اليهودية ودسائسها وعنفها وخداعها وذهبها مكنت لها من الاستقرار في وكرها الجبار.

وقصر نظر بعض الساسة الأوربيين يومئذ فظنوا روسيا بعيدة ولا خطر عليها.. وفطن غيرهم من الساسة إلى مكمن الخطر ولم يخدعه ذلك البعد.. ولكن الشعوب الحرة كانت قد وضعت كل أصابعها في آذانها واستغشت ما بقي من ثيابها.. حتى لا تسمع نداء الحرب أو ترى ميداناً لها بعد انتصارها في الحرب العالمية الأولى التي استمرت نحو خمس سنوات حتى استنزفت معظم جهود المحاربين فيها غالبين ومغلوبين.

وهذه نبذة مختصرة من ترجمة لأحد الكتاب الإنجليز نراها تلخص نظره إلى مجمل هذا الموقف عندما كتبها في أغسطس سنة ١٩٠٦ قال:

(في مايو سنة ١٩٢٠ نشرت جريدة "التايمز" مقالاً عن "الخطر اليهودي" سمته "رسالة مقلقة: دعوة للتحقيق".. ومنذ هذا الحين بدأت جريدة "المورننج بوست" في نشر مجموعة مماثلة من المقالات في يوليو من نفس العام تحت عنوان "العالم المضطرب: خلف الستار الأحمر". وقد سمى كاتبها البروتوكولات يومئذ (الإنجيل البلشفي) وهي تسمية بالغة الجدارة.

واليهود - سواء منهم المحافظون Orthodox وغير المحافظين Un orthodox - قد جحدوا بالضرورة صحة البروتوكولات ودعوها تزييفاً. غير أن المُزيف - على فرض

تزييفها ـ لابد أن يكون مزيفاً ممتازاً.. ولابد أن يكون يهودياً.. فما من مزيف غير ذلك يحتمل أن يكون قادراً على تزييف النبوءات فيها فحسب.. فضلاً عن أن يصورها تصويراً كاملاً أيضاً.. إن الوقائع ـ لسوء حظنا نحن (الجوييم Goyem) في نظرهم يمكن أن تكون أي شيء ما عدا أنها مزيفة.. ولا يمكن أن يعجز أحد.. كما يقول كاتب (التايمز)عن أن يكتشف روسيا السوفيتية في البروتوكولات.. كما أنه لا أحد يستطيع أن ينكر أن القوميسيرين السوفيت يكادون يكونون جميعاً من اليهود)

ويمضي الكاتب قائلاً: "

(من يتأتى الاستخفاف بملاحظة النبوءة.. وقد أنجز جانب منها.. على حين أن جوانب أخرى منها في طريق الإنجاز؟ هل كنا نقاتل طوال هذه السنين الفاجعة لننسف ونستأصل التنظيم السري لسيطرة ألمانيا على العالم لغير هدف إلا لنجد تحته خطراً آخر أعظم لانه أشد خفاء.. هل تخلصنا بتوتير كل عرق في جسم وطننا من "سلام ألماني" لا لشيء إلا لنتورط في "سلام يهودي" ؟ أنه ليتحتم على كل بريطاني مخلص أن يظفر بهذا الكتاب ويدرسه في ضوء الأحداث الداخلية والخارجية.. وعندئذ سيعلم شيئاً عن ماهية الخطر اليهودي.. وسيقرر لنفسه إمكان الثقة باليهود ـ على أي حال ـ في حكومة هذا الوطن أو أي وطن مسيحي آخر).

استمرار المعارك حول البروتوكولات

وليست هذه نهاية المعارك التي أثارتها البروتوكولات.. وما كان لها أن تكون النهاية.. فقد استمرت المعارك حولها تضعف أو تشتد في بريطانيا كلما ظهرت آثار العبث اليهودي بمصالحها ولا سيما خلال التقلبات العالمية كالثورات والانقلابات والمجاعات والازمات المالية والسياسية والاجتماعية والفكرية.. فكانت الصحف التي لم ينجح اليهود في السيطرة عليها ـ وفي مقدمتها (المورننج بوست والتايمز) تنشب هذه المعارك بشدة حول البروتوكولات.. فتتجاوب أصداؤها في صحف أخرى.. ولم يهمل كتابهم ومفكروهم وساستهم أمرها فشاركوا فيها بكتبهم ومقالاتهم على السواء كما

يخبرنا بذلك المؤرخ الإنجليزي الجريء (دجلاس ريد) صاحب كتاب (من الدخان إلى الخنق) في بحثه عن الحركات السرية المعاصرة.

وقد ازدادت هذه المعارك حول البروتكولات عنفاً خلال الحرب العالية الثانية وفي أدبارها.. عندما حاول اليهود جهدهم تسخير بريطانيا لإقامة دولتهم "إسرائيل" وإجلاء العرب عن فلسطين وتخوم سينا الشرقية في مصر.. مهدرين بذلك مصالح بريطانيا وسمعتها وهيبتها.. وعاثت العصابات الإسرائيلية فساداً في تلك البقعة المقدسة.. تقتل جنود بريطانيا الذين يحمونها ويمهدون السبيل لإقامة دولتهم رغم أنوف البلاد العربية وغيرها.. ولم تفرق في التنكيل بينهم وبين العرب.. بل كانت تقتل من البريطانيين كل من تأنس منه تراخياً في تأييد سياستها الإجرامية.. ومن ذلك.. قتل إرهابيين منها للورد (موين) الوزير البريطاني في مصر خلال الحرب لأنه أبي التطرف مع تلك العصابات في مطالبها الفاضحة الجامحة.. وتعرضت مصر بقتله لكارثة لم يكن يعلم مداها إلا الله لو لم تقبض الشرطة المصرية على الإرهابيين القتلة.

وقد أثار تقتيل العصابات الإسرائيلية للبريطانيين عسكريين ومدنيين.. ونسفها لمنشآتهم وعدوانها على مخازن أسلحتهم وذخائرهم ـ غضب كثير من أحرارهم وفيهم الساسة ذوو السلطان في الحكم كالوزراء وأعضاء البرلمان.. ولكنهم أمام نفوذ الصهيونية العالمية في أوروبا وأمريكا خابوا في القصاص من العصابات الإسرائيلية وفي وقف نشاطها المدمر.. لا ضد العرب فحسب بل ضد ضحاياها من رجالهم وأملاكهم.. بل خابوا في وقف مساعدات حكوماتهم المتوالية لتلك العصابات التي ما كانت لتستطيع بغير هذه المساعدات أن تتمادى في عدوانها عليهم وعلى العرب.. ولكن توالي المساعدات هو الذي مكن لتلك العصابات في عدوانها إلى حين قيام إسرائيل وفيما بعده حتى الآن.

وخلال ذلك كله كان ذوو الأقلام الحرة الجريئة بين الساسة والصحفيين والمفكرين والأدباء في بريطانيا.. يبدءون ويعيدون في حديث المؤامرة الصهيونية ضد بلادهم ودينهم كما تدل عليها الفتن العالمية وأقوال زعماء اليهود معاً في أوروبا

وأمريكا والشرق الادنى خلال القرنين الأخيرين.. ومضوا يقارنون ويوازنون في حديث المؤامرة بين صورتها الواضحة من تلك الفتن والأقوال وصورتها من الوثائق السرية المنسوبة إليهم ولا سيما البروتوكولات.. وينتهون من هذه الدراسة إلى نتائج بسيطة.. ولكنها مع بساطتها مدهشة معجبة.. منها صحة نسبة تلك الوثائق - وفي مقدمتها البروتوكولات التى وضعها اليهود من أصحاب الحركة الصهيونية.. لأن الشواهد من الفتن والأقوال اليهودية الصريحة في القرنين الأخيرين بل الأقوال المشابهة لها في التوراة ثم التلمود ثم فتاوى الربانيين اليهود بعد ذلك تعزز صحة هذا النسب العبراني لليهودي اللئيم.

وسواء أكان الحافز لهؤلاء الكُتاب الأحرار وغيرهم في بلاد العالم هو الغيرة القومية أو الدينية أو نحوها أم الغيرة الإنسانية وهي أنبل وأكرم فانهم يقدمون نتائج دراساتهم الوثيقة أمام العيون المفتوحة وأمام العيون التي يغمضها الجهل أو الغفلة أو الهوى على السواء.. لتُبصر الجحيم الذي أعده اليهود لسائر أمم العالم بأديانها وقومياتها وثرواتها ونظامها أن قدر لهم أن يسيطروا عليها.. ولتبصر الويلات التي يعدونها لها في الطريق نحو تلك الخاتمة.. لو لم يتمكنوا من الدفع بها إلى هذا الجحيم.

ومن دراسات هؤلاء الكتاب الأحرار هناك مقالات صحفية.. وفصول من كتب بل لقد ظهرت كتب خاصة بتوضيح خطط البروتوكولات وأهدافها ووسائلها معززة بالشواهد الكثيرة من الفتن العالمية وتصريحات قادة اليهود في القرنين الأخيرين.. ومع مقارنتها بتصريحات الكتب اليهودية المقدسة كالتوراة والتلمود ثم فتاوى حكماء (حاخامات) اليهود وصلواتهم وتعليماتهم التي تحفظها دفاترهم وصُحُفهم وسجلاتهم في المدارس والمعابد والخزائن.

وشاع أنه ما من أحد ترجم هذا الكتب أو عمل على إذاعته بأي وسيلة إلا انتهت حياته بالاغتيال أو بالموت الطبيعي ظاهراً ولكن في ظروف تشكك في وسيلته.. وأفزعت هذه الشائعة بعض الناس ومنعتهم ترجمته.. ومن ذلك أن جريدة (الأساس) - إحدى الإصدار ات الصحفية المصرية - تمكنت من الحصول بوسيلة صحفية على

نسخة للبروتوكولات مكتوبة بالآلة الكاتبة لقاء ثمانين جنيهاً.. ودفعت النسخة إلى أحد المترجمين فيها.. وطلبت منه ترجمتها لقاء أجر أضافي كاف لإغرائه.. فأحجم عن ترجمتها برهة.. بعد أن بلغته تلك الشائعة وسأل عن صحتها أديباً كبيراً فينا فلم يكذبها الأديب الكبير.. بل قابله بالابتسام والدعابة في الجواب عما سأله.. وقد لقيني ذلك المترجم يوماً في دار (الأساس) سنة ١٩٤٧ وأبلغني هذا كله.. فلما علم أنني فرغت من ترجمة البروتوكولات.. وأني سأنشرها تباعاً في (مجلة الرسالة) حذرني كثيراً.. فلما رأى إصراري لقبني (الشهيد الحي) وكرر نصيحتي بالحذر.

ندرة نسخ الكتاب ووسائل اليهود في منع تداوله

من أجل ذلك وغيره كانت نسخ الكتاب اليوم قليلة.. بل نادرة مفرطة الندرة.. وحسبك من كتاب صفحاته مائة أو دونها من القطع المتوسط تباع نسخته مكتوبة على الآلة الكاتبة لقاء ثمانين جنيهاً كما أشرنا هنا.. وقد أخبرني أحد سفرائنا المصريين في أحد الأقطار الشرقية الآن - أثناء إقامته في فرنسا.. ونشرت مجلة (روز اليوسف) المصرية في عدها ١٢١١ في ٢٨ أغسطس١٩٥١ مقالاً كان عنوانه (روز اليوسف) تحصل على أخطر كتاب في العالم" وقد صدرت مقالتها بهذا العنوان :

(تمكنت إحدى الجهات المصرية الرسمية من الحصول على كتاب خطير)

الكتاب اسمه "بروتوكولات حكماء صهيون" ودفعت ثمناً له خمسمائة جنيه.. ولعل هذه النسخة التي حصلت عليها الجهة الرسمية هي الوحيدة الموجودة في الشرق.. وإحدى ثلاث نسخ موجودة في العالم.. ومع حذف المبالغة التي توحي بها المهنة الصحيفة في هذا الخبر تبقى حقيقة مؤكدة هي ندرة نسخ الكتاب بسبب نفوذ الصهيونية العالمية وأنصارها.. وبتوقي الناس غضبهم وغضبها في بلاد العالم.

كما عرفت من موظف كبير في جامعة الدول العربية أثناء اجتماعي به في دار مجلة (الرسالة) إن خلاصة هذا الكتاب في صفحات طبعت بالعربية في سورية.. فبيعت كل نسخة من الخلاصة بنحو جنيه مصري.. وقد تطوع صاحبها بنسخها لتباع ويرصد ثمنها معونة لجمعية خيرية هناك.. مبلغ علمي إن هذا الكتاب لم يترجم كله ترجمة عربية

أمينة وافية قبل ترجمتي هذه.. وأنه ـ كذا قال المؤرخ الكبير (دوجلاس ريد) لم يجرؤ ناشر في أوروبا ولا أمريكا على طبعه بأي لغة منذ سنة ١٩٢١.

وما تعرض إنسان لترجمة الكتاب ونشره إلا تعرض للحملات العنيفة من الصهيونيين وصنائعهم.. وعندما شرعت في نشر البروتوكولات في جريدة (منبر الشرق) شرعت صحيفتان يهوديتان تصدران في مصر تهاجمانني وتتهمانني بتهم عدة.. ولم أتتبع هذه الحملة.. ولا أهمني أمرها.. إذ كنت انتظرها فلما جاءت على موعد لم تفاجئني بجديد.

وقد أشرت قبل ذلك إلى أن اليهود كانوا يطعنون في نسبة الكتاب إليهم منذ أن نشره نيلوس لأول مرة بالروسية سنة ١٩٠٢ وأنهم كانوا ـ أينما طُبِعَ.. وبأي لغةٍ طُبِعَ ـ يحاولون جمع نسخه من الأسواق بكل الطرق.. وكانوا يُحملون الحكومات على مصادرته فأبى الوزير ذلك.. وحجته أنه لا يملك حق مصادرته.. ثم وضح للنواب الثائرين أن عليهم أن يلجأوا إلى القضاء إذا كانوا يرون الكتاب مختلقاً على اليهود.. فأفحم الثوار من النواب المتحمسين للصهيونية. بعد هذه الخيبة التي مني بها وكلاؤهم في مجلس العموم لم يجد اليهود مفراً من شراء نسخ الكتاب.. ثم شراء ضمائر ذوي الأقلام العوجاء بالمال والنساء وغيرهما لإيقاف الحملات ضدهم بمثلها.. كما لجأوا للشتم والسباب البذيء وهكذا كانت خطتهم معي منذ نشرت البروتوكولات في "منبر الشرق".

وهكذا فعلوا أيضاً في فرنسا عندما أُعلِنَ عن قرب صدور الكتاب.. وضغطوا على الحكومة الفرنسية لمصادرته ففشلوا.. وأحالتهم على المحاكم.. وكانوا في كل بلد إلا سويسرا يتجنبون رفع الأمر إلى المحاكم.. لأن القضاء لابد أن يدمغهم بكل ما في البروتوكولات من مخاز وفضائح.. وهناك وسائل سوى ما ذكرناها من النساء والأموال يلجأ إليها اليهود لمنع الكتاب من التداول ومنع تأثيره.. أو حصره في أضيق نطاق.

من هذه الوسائل ما تقرره بروتوكولاتهم.. وكتبهم المقدسة: كالتهديد والإرهاب والقتل وغيره للتخلص من كل عدو خطر.. وإمامهم في هذا نبيهم موسى كما تصوره لهم التوراة.. فإنه حين رأى مصرياً وعمانياً يقتتلان التفت هنا وهناك "فلما لم يجد أحداً

قتله وطمره في الرمل" وهذا المثل - في كتاب شريعتهم المقدس - يوضح لهم الطريق الذي يتخلصون به من كل أعدائهم.. ومن هذا الطريق الرهيب اختفى أو اغتيل كثير من ذوي الأقلام الحرة الذين لم تنجح الأموال والنساء والمناصب والتهديدات في استمالتهم إلى صف اليهود.. أو في وقف حملاتهم عليهم. وهؤلاء الأحرار كلهم أو كثير منهم اختفوا أو اغتيلوا أو ماتوا طبيعياً ولكن في ظروف غريبة وطرق مريبة تستعصي على الفهم.

أقسام الكتاب وعنوانه

لاحظ نيلوس في مقدمته التي نقلناها عنه هنا أن أقسام هذه الوثائق "ليست مطردة إطراداً منطقياً على الدوام" ونزيد على ملاحظته.. أن موضوعاتها متداخلة.. فلم يتناول كاتبها كل موضوع على حدة في بروتوكول أو أكثر.. ولم يضعه موضعه المناسب.. بل أنه وزع بعضها اعتسافاً في مواضع متعددة لأدنى مناسبة حيناً ولغير مناسبة حيناً آخر.

ولم أجد في الطبعة الإنجليزية الخامسة التي ترجمتها هنا ترقيماً مسلسلاً للبروتوكولات إلا أرقاماً في الفهرس تشير إلى بدايتها في متن الكتاب.. وكل ما يدل على موضع البداية لبروتوكول منها في المتن إنما هو فراغ بمقدار سطر حيناً أو فأصل بثلاثة نجوم (❖❖❖) حيناً.. أولا فراغ ولا فأصل وأن دل عليه استئناف الكلام في موضوع جديد.

كما لم أجد عنواناً لكل بروتوكول يدل على موضوعه أو موضوعاته.. ونظن - والظن لا يغني من الحق - أن المترجم الإنجليزي كان كعادة القوم محافظاً على التقسيم الذي وجده في النسخة الروسية التي نقل عنها.. وهي نسخة من الطبعة الروسية الثانية.. كان مترجمها وناشرها الأول في العالم هو نيلوس كما أشار إلى ذلك "البريطانيون" في مقدمتهم للطبعة الإنجليزية الخامسة التي نقلناها هنا أيضاً.

ولوثائق كتابنا هذا عنوان.. أقدمهما هو "بروتوكولات حكماء صهيون ـ Brotocols Of Learned Elders of Xio".. وهذا هو العنوان الأشهر الذي عرفت

به الوثائق في جميع اللغات.. وتكاد لا تعرف بغيره حتى في اللغة الإنجليزية التي أضافت إليه عنواناً آخر أقل شهرة.

وواضع هذا العنوان الأقدم الأشهر للوثائق هو الروسي (سرجي نيلوس) أول ناشر لها في العالم كما سبق وقلنا.. كما تدل على ذلك مقدمته لطبعتها الروسية الثانية التي ترجمناها هنا.. وعلى ذلك تدل أقوال أخرى لمن اهتموا بدراسة البروتوكولات وتاريخها ونقدها أو الدفاع عنها.. وبعض هذه الأقوال للأستاذ نيلوس أيضاً.

وهذا العنوان "فيه نظر" كما كان يلفظ أسلافنا من العلماء المحققين في تحديدهم لمعاني الألفاظ أو الآراء الغامضة حتى لا تختلط على الأذهان.. فقد غمض معنى (بروتوكول)على بعض المترجمين فاخطأوا فهم حقيقة الوثائق ونظامها.. وأوقعوا معهم بعض القراء والدارسين في هذا الخطأ.. وبيان ذلك أن كلمة "بروتوكول" تعني أحياناً (محضر جلسة) فلما سمى نيلوس هذه الوثائق "بروتوكولات" ظن بعض المترجمين أن طائفة بين كبار زعماء الصهيونية في الدرجة الثالثة والثلاثين في جماعة الماسونية اليهودية - كما وقعت الوثائق - قد ائتمروا في عدة جلسات.. وبعد المناقشة اتفقوا خلالها على عدة قرارات منها هذه الوثائق.. فصح أن تسمى "برتووكولات" كما سماها نيلوس مع التجاوز الكثير.. ومن هنا ترجم بعضهم عنوانها بما يدل على ذلك.. ومن تراجمها في العربية كلمة "قرارات" و"مقررات".

وليس الأمر كما فهم هؤلاء المترجمين ومن تبعهم في هذا الخطأ إذ ليس في الوثائق أدنى أشارة إلى ذلك.. ولا في قراءتها الفاحصة ما يوحي إلى الوعي شيئاً منه.. بل يوحي هذا بما وعى منها نيلوس وذكره صراحة في مقدمته إذ قال:

"نحن لا نستطيع أن نغفل الأشارة إلى أن عنوانها لا ينطبق تماماً على محتوياتها.. فهي ليست على وجه التحديد مضابط جلسات Minutes of meetings بل هي تقرير وضعه شخص ذو نفوذ.. وقَسَمه أقساماً ليست مطردة اطراداً منطقياً على الدوام.. وهي تحملنا على الإحساس بأنه جزء من عمل أخطر وأهم بدايته مفقودة.. وأن كان أصل هذه الوثائق السالف ذكرها ليعبر هنا بوضوح عن نفسه".

ويبدو لنا أن نيلوس مصيب في هذا الرأي.. فالوثائق ليست مضابط جلسات كما تدل عليها كلمة "بروتوكولات" التي اختارها اسماً لها فأوقع بتسميته كثيراً من القراء في الخطأ ولكن الوثائق محاضرة طويلة ألقاها زعيم موقر المكانة على جماعة من ذوي الرأي والنفوذ بين اليهود ليستأنسوا بمضامينها تقريراً وتنبؤاً فيما هم مقدمون عليه بعد.. حتى تقوم مملكة إسرائيلية تتسلط على كل العالم.. ويظهر أن المحاضرة قد ألقيت في أكثر من جلسة كما تدل فاتحة البروتوكول العاشر الذي بدأ هكذا "**اليوم سأشرع في تكرار ما ذكر من قبل**".. وفاتحة البروتوكول العشرين.. إذ قال "**سأتكلم اليوم في برنامجنا المالي الذي تركته إلى نهاية تقريري لأنه اشد المسائل عسراً.** ".

وإذا اعتبرنا هذا أمكننا الظن بأن الوثائق محاضرة ألقيت في ثلاث جلسات:

- ألقيت في أولاها البروتوكولات التسعة الأولى..
- وألقيت في الجلسة الثالثة البروتوكولات الخمسة الختامية (ـ) التي بسط في معظمها البرنامج الحالي.. ولخص ما سبقه..
- ثم وضح نظم الحكم في الدولة العالمية المنتظرة.

وقد لاحظت ذلك في قراءاتي الأولى للوثائق.. فلما أردت ترجمتها حرت طويلاً في ترجمة كلمة "بروتوكولات".. وسألت عنها المعاجم ومطالعاتي الكثيرة وفقهي بلغتنا.. كما سألت كثيراً من رواد الفكر والترجمة عندنا فلم أسترح إلى كلمة مما سمعت في ترجمتها.. وكانت أمامي كلمات كثيرة مثل "قرارات" و"مقررات" و"محاضر" و"مضابط جلسات" ونحوها فعدلت عنها جميعاً وأبقيت على أصل الكلمة معربة وآنسني منها كثرة استعمالها بيننا في المداولات السياسية على الألسنة وصفحات الجرائد والمجلات.

وكانت حيرتي أقل في ترجمة Learned Elders التي تعني العارفين من أكابر السن.. فترجمتها "شيوخ" كما ينبغي للعناوين من اختصار.. وتحت عنوان (بروتوكولات شيوخ صهيون) نشرت أوائل الوثائق في مجلة "الرسالة" ثم نشرتها كاملة في مجلة (منبر الشرق) بعد توقف الأولى عن استكمال نشرها.

ولكني عدلت عن كلمة "شيوخ" التي اخترتها أولاً.. وعن كلمة "عقلاء" التي اختارها مترجم مجلة "روز اليوسف" حين أشار إلى عثور حكومتنا على نسخة من هذا الكتاب مع أننا كنا فرغنا من نشر وثائقه كلها في "منبر الشرق" وعدلت عن كلمة "مشيخة" التي اختارها أديب كبير عندنا.. ورددها في مقالاته وأحاديثه الإذاعية في حملاته على "الصهيونية العالمية".. وآثرت كلمة "حكماء" لأنها أوفى دلالة من كلمة "عقلاء" وأوقع من الكلمتين "شيوخ" و"مشيخة" وأولى أن لا تختلط بما نلقب به للتوقير علماءنا المسلمين بين رجال سائر الأديان. وهذا العنوان "بروتوكولات حكماء صهيون" هو الذي شاع ترجمة لعنوان الوثائق بعد أن طبعناها كتاباً.. وفاض صيته بين قراء العربية ولا سيما الساسة والأدباء والمفكرين.. حتى أن هيئة من هيئات الدعاية والنشر اختارته عنواناً لهذه الوثائق حين طبعتها.. بعد أن ادعت أنها ترجمتها عن أصل فرنسي.. وأخذت من ترجمتنا فقرات كاملة بحروفها وبدايتها ونهايتها.. بل تصحيفاتها المطبعية.. وكان عنواننا عنوان غلافها.. بعد أن نسيت الهيئة النشيطة الواعية انها وضعت للكتاب من داخله عنواناً آخر هو "بروتوكول حكماء صهيون".

وأما العنوان الثاني للوثائق - وهو دون الأول شهرة - فهو "الخطر اليهودي" وواضعه هو (فكتور مارسدن) مراسل جريدة "المورننج بوست" اللندنية.. وهو الذي ترجم الوثائق من الروسية إلى الإنجليزية.. وأضاف لها هذا العنوان إلى عنوانها الأول وقدمه عليه في طبعته.. وكتبه بحروف أكبر ليزيده تنويهاً.. وقد أتبعناه نحن في ترجمتنا العربية عنه.. لا لمجرد الأمانة.. في النقل فحسب بل لأن الكتاب في تقديرنا جدير بالعنوان أيضاً.

ولقد أصاب المراسل الحصيف فيما اجتهد واختار.. إذ لم ينظر إلى الحركة الصهيونية في العالم بمعزل عن تأييد جميع اليهود كما نظر - وما يزال ينظر - إلى غيره من الهُواة الهازلين الذين يتعاطون السياسة ودراسة النظم الاجتماعية والحركات التاريخية ظالمين.. دون فقه بفلسفة التاريخ والبواعث الخفية من وراء تياراته المحلية والعالمية.. فمهما يكن من تبرئة سائر اليهود من مشاركة الصهيونيين مساعيهم لفرض سلطان اليهودية محلياً أو عالمياً فلا شك أن هؤلاء الأبرياء - على أضعف الوجوه - ضالعين

في الحركة الصهيونية بالعطف.. والرغبة في النجاح والمساعدة التي لا تعرضهم لنقمة الأمة التي يعيشون فيها.. ولنقمة الحكومة التي يخضعون لسلطانها.. ولاشك أن الحركة الصهيونية تستفيد من كل يهودي في العالم بطريق مباشر على هواها وهواه.. وبعض هؤلاء قد يخالفها سراً أو جهراً في خططها أو وقت تنفيذها ولكنه لا يخالفها أبداً في الغاية التي تمليها عليه شريعته الموسوية لو لم تكن هناك حركة صهيونية.. وليس من المنتظر أن يخذلها عند المحن.. أو تختلف بواعثه في مساعيه وأعماله عن بواعثها.. وهذه البواعث عندنا أهم من الوسيلة والغاية لأنها هي التي تحدد الوسائل والغايات وتدبر لها ما ينبغي من مساعدات. وإذا لم يفعل اليهودي ذلك من جانب الإيمان بالحركة الصهيونية أو بشريعته الموسوية فمن جانب الغيرة القومية التي لم تخل منها نفس يهودي في أحلك العهود ولا أشدها إشراقاً.. وقد تجد اليهودي ملحداً منكراً لكل دين.. بل منكراً لكل أساس ديني في الحياة.. وهو مع ذلك من غُلاة الدعوة الصهيونية.. ومن هؤلاء (ماركس نورداو) الذي كان ملحداً مجاهراً ينكر كل أصل غيبي للدين وللأخلاق أيضاً.. وكان مع كل ذلك من رؤوس المؤسسين للحركة الصهيونية ومن أقوى دعاتها بقلمه ولسانه.. بل كان داعيتها في كل ما كتب وخطب ظاهراً وباطناً حيث أراد ذلك وحيث لم يرده بحكم نزعته اليهودية المركزة أصولها في أخفى طوايا سريرته.. وبحكم موروثاته ومأثوراته وأسلوب حياته جمعاً. وهي ناضجة على كل آثاره الكريهة بلا خفاء.

وإنه لمن الإفراط في الجهل والغفلة والهوى أن يخطر على عقل قابل للفهم أن يهودياً يتمنى مخلصاً خيبة الحركة الصهيونية أو فشلها.. مهما يخالفها في خططها أو مراحلها أو وسائلها أو مواقيتها.. وأبعد من ذلك في الشطط أن يستريح عقل إلى أن يهودياً يسعى مخلصاً لمقاومة الحركة الصهيونية بقلمه أو لسانه أو نفوذه أو ماله وأن رآه يغمد سيفه في قلب فرد أو هيئة من أتباعها أو أتباع حركة سواها.. ومهما يتعادى اليهود أو يتفانوا طوعاً لما رسخ في نفوسهم من البغضاء والضراوة بالشر فلا اختلاف بينهم على من يكون الضحايا.. والضحايا هم أنا وأنت من الأمميين الذين حرمهم الله شرف النسب

اليهودي فإنهم يرون أنهم وحدهم "شعب الله المختار" وما عداهم "أشياء" هي ملكهم وحدهم يتصرفون فيها على ما يشاءون دون قيد إلا مصلحة اليهود الخاصة.. فهكذا تملي عليهم التوراة والتلمود ونصائح سائر الأئمة بينهم والزعماء.

ومن أعجزه فهم ذلك لم يعجزه التصديق بأبعد المستحيلات.. وهو قابل لأن يفقه شيئاً في المجالات السياسية والاجتماعية ولو كان من العلم بغيرها في أعلى مكان.. وأن أمة يكون لمثل هذا الآدمي المسكين يد في تصريف شؤونها العليا - لا سيما خلال الأزمات - لهي أشد منه مسكنة وأولى بأبلغ الرحمة. ومصيرها لا شك الفناء وما هو شر من الفناء.

الناس يهود وجوييم أو أمم

قديماً قسم الرومان الناس قسمين: رومانا وبرابرة.. وقسمهم العرب قسمين: عرباً وعجماً.. وقسمهم اليهود منذ خمسة وثلاثين قرناً قسمين: يهوداً وجوييم أو أمماً "أي غير يهود". ومعنى جوييم عندهم وثنيون وكفرة وبهائم وأنجاس. وإليك البيان:

يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه.. وأنه لا يسمح بعبادته ولا يتقبلها إلا لليهود وحدهم لهذا السبب هم المؤمنون فغيرهم إذن جوييم أي كفرة.. واليهود يعتقدون - حسب أقوال التوراة والتلمود - أن نفوسهم وحدهم مخلوقة من نفس الله وأن عنصرهم من عنصره.. فهم وحدهم أبناؤه الأطهار جوهراً.. كما يعتقدون أن الله منحهم الصورة البشرية أصلاً تكريماً لهم.. على حين أنهم خلق غيرهم "الجوييم" من طينة شيطانية أو حيوانية نجسة.. ولم يخلق الجوييم إلا لخدمة اليهود.. ولم يمنحهم الصورة البشرية إلا محاكاةً لليهود.. لكي يسهل التعامل بين الطائفتين إكراماً لليهود.. إذ بغير هذا التشابه الظاهري - مع اختلاف العنصرين - لا يمكن التفاهم بين طائفة السادة المختارين وطائفة العبيد المُحتَقَرين.. ولذلك فاليهود أصلاء في الإنسانية.. وأطهار بحكم عنصرهم المستمد من عنصر الله استمداد الابن من أبيه.. وغيرهم إذن جوييم أي حيوانات وأنجاس.. حيوانات وأن كانوا بشراً في الشكل.. وأنجاس لأن عنصرهم الشيطاني أو الحيواني أصلاً لا يمكن أن يكون إلا نجساً.

وكان الرومان والعرب "وبعض الآريين في العصر الحديث" يفضلون أنفسهم على غيرهم ببعض المزايا العقلية والجسمية.. ولكنهم يعتقدون أن البشر جميعاً من أصل واحد ويرون لغيرهم عليهم حقوقاً يجب أدبياً أداؤها له.. ويلتزمون في معاملته ومراعاة الأخلاق والشرائع الكريمة. فهم - مهما علوا وأسرفوا - التفرقة - لا يتطرفون تطرف اليهود في التعالي على غيرهم وقطع ما بينهم وبينه من مشاركة في أصل الخلقة والمزايا البشرية العامة.

لكن اليهود - حسب عقيدتهم التي وضحناها هنا - يسرفون في التعالي والقطيعة بينهم وبين غيرهم إلى درجة فوق الجنون.. فهم يعتقدون أن خيرات أرض العالم أجمع منحةً لهم وحدهم من الله.. وأن غيرهم من الأممين أو"الجوييم" وكل ما في أيديهم ملك لليهود.. ومن حق اليهود بل واجبهم المقدس معاملة الأمميين كالبهائم.. وأن الآداب التي يتمسك به اليهود لا يجوز أن يلتزموها إلا في معاملة بعضهم بعضاً.. ولكن لا يجوز لهم.. بل يجب عليهم وجوباً إهدارها مع الأمميين.. فلهم أن يسرقوهم ويغووهم ويكذبوا عليهم ويخدعوهم ويغتصبوا أموالهم ويهتكوا أعراضهم ويقتلوهم إذا أمكنوا اكتشاف جرائمهم.. ويرتكبوا في معاملتهم كل الموبقات.. والله لا يعاقبهم على هذه الجرائم بل يعدها قربات وحسنات يثيبهم عليها ولا يرضى منهم إلا بها.. ولا يعفيهم منها إلا مضطرين. وقد أشار القرآن إلى هذه العقيدة الإجرامية.. ونحن نذكر ذلك من باب الاستئناس.. لا لندينهم ولا لنبرهن على عقيدتهم به.. لعدم اعترافهم بالقرآن.. جاء في سورة آل عمران: (**وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**). أي لسنا ملتزمين بمراعاة أي شريعة كريمة مع الأمميين "غير اليهود".

مقارنة البروتوكولات بكتبهم المقدسة وأقوال ربانييهم وزعمائهم

ولا يُستطاع.. إلا في كتاب.. مقارنة كل فكرة أو نص بمثيله في كتبهم المقدسة كالعهد القديم والتلمود.. وفي أقوال زعمائهم المعترف عندهم بصدورها عنهم.. وقرارات

ربانييهم المحفظة في السجلات الإسرائيلية التي تدل على أن الدروس التلمودية التي يعكف اليهود في كل زمان ومكان على دراستها في مدارسهم ومجامعهم ليلاً ونهاراً - لا غرض من ورائها إلا السير عليها في الحياة اليومية.

وكلها توجب على اليهودي أن يستحل في معاينة غيره كل وسيلة قبيحة كالسرقة والخداع والظلم والغش والربا.. بل القتل أيضاً كما فعل موسى - حسب تصويراتهم وتلمودهم - حين قتل المصري في أناة وبصبرة مستحلاً دمه.. بل أن قتل الأممي كما يقول الربانيون قربان إلى الله يرضيه ويثيب عليه.. لأن الأمميين أعداء لله واليهود.. وهم بهائم لا حرمة في قتلهم بأي وسيلة.. ويعجب الناس من كلمة لـ (ديزائيلي) رئيس الوزارء البريطاني قبل نحو سبعين سنة حيث نصح الإنجليز أن يتخذوها قاعدة ذهبية لسياستهم مع الشعوب لا سيما المستعمرات.. إذ قال لهم: "لا بأس بالغدر والكذب والوقيعة إذا كان ذلك هو طريق النجاح".. ولا عجب أن تصدر هذه الكلمة عن صاحبها لأنه يهودي.. كما يدل على ذلك اسمه" دي إسرائيلي".. وهو في ذلك يسير حسب سياسة اليهود في معاملة الجوييم أو الأمميين.. وهو لم يتنصر إلا نفاقاً.. لأن رئاسة الوزارة التي كان يطمع فيها ووصل إليها ما كان له أن يليها وهو على يهوديته العارية.. ولذلك تنصر ليساعد اليهود.

وليست كلمة ديزرائيلي العوراء إلا صدى عنيفاً لصوت الشريعة اليهودية لا سيما التلمودية.. فالتلمود يقول: "إن اليهود أحب إلى الله والملائكة.. وأنهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه.. ومن يصفع اليهود كمن يصفع الله.. والموت جزاء الأممي إذا ضرب اليهودي.. ولولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض.. واحتجبت الشمس.. وانقطع المطر.. واليهود يفضلون الأمميين كما يفضل الإنسان البهيمة.. والأمميون جميعاً كلاب وخنازير.. وبيوتهم كحظائر البهائم نجسة.. ويحرم على اليهودي العطف على الأممي لأنه عدوه وعدو الله.. والتُقية أو المدارة معه جائزة للضرورة تجنباً لأذاه. وكل خير يصنعه يهودي مع أممي فهو خطيئة عظمى.. وكل شيء يفعله معه قربان لله يثيبه عليه.. والربا غير الفاحش جائز مع اليهودي كما شرع موسى وصموئيل (في رأيهم).

والربا الفاحش جائز مع غيره.. وكل ما على الأرض ملكاً لليهود.. فما تحت أيدي الأمميين مغتصب من اليهود وعليهم استرداده منهم بكل الوسائل.

واليهود ينتظرون مسيحاً يخلصهم من الخضوع للأمميين على شرط ألا يكون في صورة قديس.. كما ظهر (عيسى بن مريم) كي يخلصهم من الخطايا الخلقية.. ولذلك أنكروه.. لكن على شرط أن يكون في صورة ملك من نسل داود يعيد المُلك إلى إسرائيل.. ويخضع الممالك كلها لليهود.. وهذا لا يتأتى إلا بالقضاء على السلطة في كل الأقطار الأممية.. لأن السلطة على شعوب العالم من اختصاص اليهود حسب وعد الله وتقديره.

وواجب اليهود أن يكونوا وحدهم المتسلطين على كل مكان يحلون فيه.. وطالما هم بعيدين عن السلطة العالمية فهم غرباء أو منفيون.. وعندما يظفر المسيح اليهودي بالسلطة على العالم يستعبد كل الأمم.. ويبيد المسيحيين.. وعندئذ فحسب يصبح أبناء إسرائيل وحدهم الأغنياء.. لأن خيرات العالم التي خُلِقَت لهم ستكون في قبضتهم خالصة.. ولا حياة لشعوب الأرض فيها بدون اليهود.. وهذه تعاليم التلمود وهي متفقة مع البروتوكولات كما تقول التوراة: "سيقوم الرب ويقيس الأرض ويجعل عبدة الأوثان(الأمميين) تحت يد إسرائيل.. ويسلم جميع ممتلكاتهم إلى اليهود".

وفي آخر سفر المزامير (الزبور) ما ترجمته:

(هللوا غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحة له في جماعة الأنقياء.. ليفرح إسرائيل بخالقه.. وليبتهج بنو صهيون بملكهم.. ليسبحوا اسمه برقص.. وليرنموا له بدف وعود.. لأن الرب راضٍ عن شعبه.. وهو يجمل الودعاء بالخلاص ليبهج الأتقياء بالمجد.. وليرنموا على مضاجعهم.. تنويهات الله في أفواههم.. وسيف ذو حدين في أيديهم.. كي ينزلوا نقمتهم بالأمم.. وتأديباتهم بالشعوب.. ويأسروا ملوكهم بقيود.. وأشرافهم بأغلالٍ من حديد.. وينفذوا فيهم الحكم المكتوب.. وهذا كرامة لجميع أتقيائه).

وسرقة اليهودي أخاه حرام.. ولكنها جائزة بل واجبة مع الأممي لأن كل خيرات العالم خلقت لليهود فهي حق لهم.. وعليهم تملكها بأي طريقة.. واليهود في روسيا

يطبقون هذا كله.. كما يوصيهم التلمود.. وتؤيده البروتوكولات.. هنا وهو يدل على أن سياسة روسيا من وحي اليهودية.

ومن يحاكم اليهود بجريمة السرقة أو القتل أو الخداع أو الغش فهو يعترض على الله.. وإذا وجد اليهودي (لُقطة)[1] لأممي حرم عليه ردها إليه.. لأن في ردها تقوية لكافر ضد اليهود.. وحب اليهودي الأممي وثناؤه عليه وإعجابه به إلا لضرورة - خطيئة عظمى. وإذا انتصر اليهود في مقطوعة وجب عليهم استئصال أعدائهم عن آخرهم.. ومن يخالف ذلك فقد خالف الشريعة وعصى الله.. وهكذا فعلوا حسب شريعتهم عند دخولهم فلسطين بعد موسى لأول مرة ضد الكنعانيين والآدميين وغيرهم.. وهكذا فعلوا مع عرب فلسطين أخيراً.. فحربهم دائماً حرب إبادة.

وزنا اليهودي باليهودية حرام.. وزناه بالأممية ومثله زنا اليهودية مع أممي مباح كما يقول فيلسوفهم وربانيهم الكبير (موسى بن ميمون).. لأن الأممية كالبهيمة.. وإذا أقسم اليهودي لأخيه كان عليه أن يُبر بقسمه.. ولكنه غير مطالب بالوفاء مع الأممي.. وإله اليهود "يهوه"- كما تصوره كتبهم المقدسة - ليست له إلا صفات شيطان.. أو هو أحد أصنام اليهود القديمة أيام كانوا وثنيين بدواً.. وقد حورت صفاته الوثنية بعض التحوير.. ومنها أنه صار مجرداً بعد أن كان مجسداً.

ومن يدرس تاريخ الفرق المسيحية يدهشه أن بعضها يكفر بالعهد القديم وينكر شريعته.. ويتبرأ من إلهه وأنبيائه ومن هذه الفرق فرقة تسمى (المانوية)[2] (وقد قلنا منذ ثلاثة أعوام تقريباً بصدد هذا الموضوع في مكان آخر: "كان المانويون يصدقون بنبوة عيسى ويرفضون نبوة موسى.. لأسباب منها: أن الإله "يهوه" كما وصفته التوراة شيطان متوحش شرير شغوف بالخراب والفساد وإراقة الدماء.. وأن قارئ التوراة إذا حاول أن يتبين صفات "يهوه رب الجنود" وسيرته مع "شعبه المختار" - وجب عليه أن يتصوره مخلوقاً شيطانياً مسرفاً في الحب والتدليل لشعبه المختار.. وهو أعجز المخلوقات حيلةً في

(١) اللقطة هى الشيء الذى يعثر عليه الإنسان ولا صاحب له.

(٢) أتباع "ماني" الذي ظهر في فارس خلال القرن الثالث.

سياستهم وسياسة خصومهم.. فبينما هو راض عنهم كل الرضا إذا هو ساخط عليهم كل السخط.. وهو مفرط في الحقد والكراهة لأعدائهم.. فهو - لذلك ولأنه لا حد لقدرته.. ولعدم حيلته - ينزل ضرباته على هؤلاء الأعداء في إسراف وجنون وقسوة لا حد لها.. وينتقم لأتفه الأسباب أبشع انتقام.. وهو - رغم قدرته التي لا حد لها - مخلوق "جبان" يهاب ما لا يهابه إنسان ذو شجاعة عادية فهو ينكص عن محاربة بعض أعدائه وأعدائهم.. لأن للأعداء في الحروب عجلات قوية.. فهو يترك اليهود بشأنهم.. ولا يخوض معهم في حربهم لهم خوفاً من هذه الضربات إلى غير ذلك من الفروض المستحيلة التي لا يستطيع العقل أن يحتفظ بوحدته معها.. ويكاد ينسحق تحت وطأتها.

ومن المعروف تاريخياً أن اليهود فوجئوا بالدين وهم بدو لم يتمدنوا فهم بدو حتى الآن.. وضميرهم ضمير بدوي لم يتطور خلال العصور.. وحياتهم رغم اتصالهم بمختلف الحضارات حياة القبيلة البدوية الجوالة.. فهم يعتزلون العالم رغم اتصالهم به.. ولا ينظرون إليه إلا نظرتهم إلى عدو: يخضعون له إذا كان أقوى منهم.. ويستعبدونه إذا كانوا أقوى منه.. وحياتهم تعتمد على شن الغارات والسلب والتطفل على ما في يدي غيرهم كعادة القبائل البدوية.. وهم دائماً معبئون أنفسهم "تحت السلاح" لشن غارة أو دفع غارة.. فروحهم المالية روح بدوية قبلية لا تحسن الاتصال بغيرها ولا تريده.. أو هم كما تقول توراتهم "يدهم على كل أحد.. ويد كل أحد عليهم".

والمُثل العليا لليهود هم أنبياؤهم وأبطالهم كما تصورهم التوراة والتلمود وغيرهما.. وسير ربانييهم وزعمائهم عامة.. هؤلاء المثل المقدسون الذين يعتقد اليهود في حياتهم بقداستهم هم أسوأ مثل للإنسان.. فكتبهم المقدسة تحكي من فضائح إلههم وأنبيائهم وعظمائهم ما يسلك أكثرهم في عداد أكابر المجرمين.

وهذا مصدر من مصادر الشر في نفوس اليهود الذين هم أشد الناس تمسكاً بشرائعهم الهمجية.. وجموداً على مأثوراتهم القليلة الإجرامية.. ولذلك كانت نياتهم - من الوجهة الأخلاقية - دون كل الشرائع حتى الوثنية الوحشية.. ذلك لأن كل وثنية تلزم أتباعها في معاملة غيرهم ببعض الآداب الفاضلة.. على حين أن اليهودية تعفي أتباعها من

كل قانون مع غير اليهود.. وتبيح لهم كل رذيلة معه.. وتحتكر لهم نعم الدنيا ومتع الجنة وهذا أصل لا ريب فيه من أصول البلاء الذي لا خلاص للعالم منه إلا بتصفية اليهود او نفيهم في مكان منقطع يمنعون فيه الاتصال بغيرهم.. أو إعادة تعليم أطفالهم أدباً غير أدب ديانتهم البدوية وتعاليمهم الوحشية.

ومن يقرأ كتبهم المقدسة يُروعه ويغثيه أن "المؤامرة" قوام تاريخهم حتى في وقفهم تجاه ربهم (يهوه) والاعتماد في حياتهم على الخفاء والغدر والخسة والعنف والعناد سواء أكان ذلك في معاملتهم بعضهم بعضاً.. أم في معاملتهم الأمم التي نكبت بوصالهم.. فيندر أن تراهم في صلاتهم بها إلا عبيداً أذلاء لها يمكرون بها إذا كانت أقوى منهم.. أو جبابرة غاشمين يستعبدونها إذا كانوا أقوى منها.. وهم لا يعترفون بعهد ولا يدينون بذمة.. بل يلجئون إلى الغدر والبغي كلما أحسوا من أنفسهم قوة.

وقد وصفهم كثير من أنبيائهم في كتبهم المقدسة بأنهم شعب غليظ القلب.. صلب الرقبة.. وبأنهم أبناء الأفاعي وقتلة الأنبياء.. ومن الظواهر البارزة في تاريخهم كثرة أنبياءهم.. وهذا شيء ينفردون به دون سائر الأمم.. ولا تعليل له - كما يرى أديب مصري كبير - إلا السوء العريق في دخائلهم المنكوسة.. ولولا هذا السوء اللازب لما احتاجوا إلى معشار هذا العدد من الأنبياء والمصلحين.. ولكنهم لمسخ طبائعهم العريق كانوا على الدوام أهل سوء فكلما حسنت حالهم على يد نبي أو مصلح ثم مات.. ارتدوا إلى سوئهم وعصيانهم.. فاحتاجوا سريعاً إلى غيره.. وهكذا دواليك.. فكثرة أنبيائهم مخزاة من مخازيهم وليست مفخرة من مفاخرهم كما يريدون أن يفهموا ويفهموا الناس.

وأينما حاولوا في قُطر الاندساس فيه.. والتسلط عليه اقتصادياً وسياسياً في خفاء بالخديعة والنساء والرشوة وغير ذلك.. وربطوا ربطاً محصناً بين مصالحهم ومصالحه.. حتى إذا أحس خطرهم عليه وحاول التخلص من شرورهم لم يستطع.. وإذا هو استطاع فبتعريض بنيانه لكثير من الهزاهز والاضطرابات.. فهم كالمرض الطفيلي المزمن الدفين في العضو.. لا نجاة منه إلا ببتر العضو نفسه أو بعضه أو إتلاف وظيفته.

وهم يعيشون كالأمراض الطفيلية على الشعوب وحضاراتها.. وأن ديانتهم تبيح لهم استعمال كل الوسائل الخسيسة كما لا تبيحه الشرائع الأخرى - مع الإحساس بالخطر لقلة عددهم - وهم يتعاونوا في الأعمال المالية والثقافية والسياسية أشد مما يتعاون غيرهم.. لأنه لا يحس من خطر الذلة والقلة ما يحسون هم به.. ومن أجل ذلك ينجحون مالياً وسياسياً حيث يخفق غيرهم أحياناً.. وهذا ما يعدونه آية عبقريتهم وامتيازهم على غيرهم واختيار الله إياهم دون العالمين.. مع أن غيرهم لو استباح لنفسه من الوسائل الشريرة بعض ما يستبيحون لغلبهم في كل مجال.. كما أنهم في كل قُطر يكونون (جماعة سرية) لا تعمل إلا لمصلحتها الخاصة.. كما تهدر مصالح غيرها ولو بلا ضرورة ويعيشون بمعزل في الخفاء مهما كانوا ظاهرين.. وقد بلغ من وقاحتهم أن بعض كُتابهم خلال الحرب العالمية الأولى طالبوا أن تعترف لهم إنجلترا بجنسيتين: مدنية إنجليزية.. ودينية يهودية.. مع أنهم هناك يستطيعون أن يصلوا إلى مرتبة رئاسة الوزراء ورئاسة القضاء.. وهما أسمى ما يمكن أن يصل إليه مواطن إنجليزي.

ثم أنهم متماسكون متعاونون عالمياً رغم تشتتهم في مختلف البلاد.. فإنهم بغير ذلك لابد أن يذوبوا في الأمم التي يعيشون خلالها.. لقلة عددهم في كل أمة.. وهذا التماسك والتعاون العالمي هو سر قوتهم ونفوذهم محلياً وعالمياً.. وسر نجاحهم في التجارة وغيرها.. وأن بدا تشتتهم - في الظاهر الخداع - مظهراً لضعفهم وهذا ما أشاروا إليه في آخر البروتوكول الحادي عشر.

وقد لاقوا.. حيثما حلوا ومنذ كانوا.. اضطهادات تثير الحسرة في قلب كل إنسان.. ولكن إجماع كل الأمم على اضطهادهم ظاهرة تستحق التعليل.. ولا علة لها إلا سوء طبائعهم وإحساس كل الأمم بأنهم خطر عليها في السلم والحرب.. وهذه الاضطهادات أفادتهم كثيراً.. إذ حملتهم على أن يتماسكوا ويتعاونوا لدفع الأذى عن أنفسهم.. كما حملت صِغارهم على الطاعة العمياء لزعمائهم طوال عصور الاضطهاد كما أشارت البروتوكولات.

وهم يستخدمون المذاهب المتناقضة لخدمة مصالحهم.. ما دامت تؤدي أخيراً إلى تفكك العالم والقضاء على أخلاقه ونظمه وأديانه وقومياته.. هذه هي العوائق ضد سلطتهم العالمية فيما يرون.

فيدعون إلى العالمية والوطنية المتطرفة.. والتسامح الديني والتطرف الديني.. وينشرون الشيوعية.. ويشجعون الرأسمالية.. وقد كونوا أخيراً جمعية دولية ذات نفوذ عالمي قوي لإثارة الفتنة وتوسيع مدى الخلاف بين الدول الديمقراطية والشيوعية في الغرب والشرق.. وإثارة مخاوف كلا الفريقين من الآخر كلما خفت حدتها.. كما كشفت ذلك أخيراً أقلام المخابرات الشيوعية والديمقراطية معاً.. فكل من الديمقراطيين والشيوعيين يتهم الآخر بجرائم ضده لم يرتكبها.. وما ارتكبتها إلا هذه العصابة الدولية اليهودية التي من مصلحتها التصادم بين الديمقراطيين والشيوعيين في حرب عالمية ثالثة لتحطيم القوتين معاً.. وازالة العوائق ضد سيادة اليهودية العالمية.

أين الدولة اليهودية؟ وأين خطرها؟ وما مداه؟

إن الدولة اليهودية قائمة دون شك لكن لا في إسرائيل فحسب.. ولا في أي رقعة واحدة محدودة في جهة من الأرض.. فليست لها حدود جغرافية ولا لغة واحدة ولا نحو ذلك من مقومات الدولة في بعض البلاد.. وليس لهذين المقومين ونحوهما أهمية كبيرة.. وأن كان اليهود قد اتجهوا أخيراً إلى تكوين مملكة إسرائيلية بدأت في فلسطين.. وهي تهدف إلى الاستيلاء على رقعة الشرق الأوسط والبلاد العربية بخاصة.. لتتحكم في تجارة العالم بين الشرق والغرب حيث تلتقي القارات الثلاث: آسيا وأوروبا وأفريقية.. وتشمل قناة السويس.. ثم تستغل سكان هذه الرقعة الضعاف في نظرها.. وتستولي على آبار النفط وكل المعادن فيها.. وأن كانوا أيضاً يحاولون نشر اللغة العبرية بعد إحيائها بينهم.. حتى يتم لدولتهم مقومان هامان شكليان أكثر مما هما أساسيان.. وهما وحدة الإقليم ووحدة اللغة. وهذان المقومان مع أهميتهما العظمى غير ضروريين لقيام الدولة اليهودية بخاصة.. فهي قائمة بدونهما.. لأن المقومات التي هي أهم منهما ولا قيام لدولة

بدونهما قد اجتمع منها لليهود أكثر مما يلزم.. فكان من جرائها أن الدولة اليهودية حقيقة قائمة فعلاً.

وأهم مقومات الدولة المتحققة لليهود كثيرة

- (أولها) اتحاد مصالحهم وحاجتهم الآلية لمعاونة بعضهم بعضاً محلياً وعالمياً..
- (ثانيها) وحدة التاريخ والإشتراك في المفاخر والمآسي منذ خمسة وثلاثين قرناً..
- (ثالثها) وحدة الغرض وهو استغلال العالم لمصلحتهم..
- (رابعها) اضطرارهم للتعاون والتعصب ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم من الأمم التي تجمع كلها على اضطهادهم.. وهم أقلية ضئيلة العدد محلياً وعالمياً.. فإذا أهملوا التعاون والتعصب بينهم لحظة ذابوا في الأمم.
- (خامسها) إحساسهم المشترك بالنقم على العالم بكثرة ما اضطهدتهم الأمم الأخرى جميعاً.. وإحساسهم بنقمة العالم عليهم لاستغلالهم اياه ومحاولتهم احتكار خيراته..
- (سادسها) في منتهى الخطورة.. وهو وحدة الدين الذي يمتاز بأنه يحثهم على اعتزال العالم والترفع عليه واحتكار خيراته وسكانه لخدمتهم.. ويوجب عليهم استغلال أسوأ الوسائل كالكذب والخداع والسرقة والقتل والزنا والربا الفاحش والتدليس لإشاعة الرذيلة فيه وحل أخلاقه وقومياته وأديانه.. وأن سيرة إلههم وأنبيائهم وزعمائهم تمدهم بأقوى المثل للتعصب ضد الأمميين.. واحتقارهم والنقمة عليهم.. واستباحة كل الوسائل الدنيئة لاستغلالهم والتسلط فوقهم على الدوام.. وعاصمة هذه المملكة هي كتبهم المقدسة لا سيما التلمود وأقوال ربانييهم وزعمائهم الذين يمدون لهم في الضلال مداً.. وأن ملوكهم هم حكماؤهم الذين هم أيضاً أنبياؤهم.. واليهود يخضعون لهؤلاء الحكماء خضوع التقي لربه.. ويطيعون كلماتهم في عمى طاعة الأبناء البررة لا كِرام الآباء.

ونفوذ الدولة اليهودية قائم في كل مكان عن طريق جمعياتهم الدينية والسياسية والماسونية سرية وعلنية ونسائهم وخداعهم وبذر بذور الفتنة بين الهيئات المختلفة في كل قطر وفي العالم معاً.. وبإشرافهم على الصحافة ودور النشر ووكالات الأنباء ومذاهب العلم والفلسفة والفن والمسرح والسينما والمدرسة ونظم التعليم والبنوك والشركات والمصافق (البورصات) وأهم منابع الثروة في معظم البلاد.. واحتكار الذهب.. ونُظمهم السرية التي لا يعرف أهدافها إلا أكابر حكمائهم.. وأن نفذ كبارهم وصغارهم خططها تنفيذاً دقيقاً.

وكان خيراً لليهود أن تبقى دولتهم قائمة على هذا الوضع الغريب الفريد بين الدول.. لأنهم لم يحرزوا هذه السلطة العظمى إلا عن طريق هذا الوضع الشاذ الذي كفاهم شرور أنفسهم أولاً.. فإن تجمعهم في رقعة وأمنهم فيها لا بد أن يثير الشر الكامن في أنفسهم بين بعضهم وبعض.. وأن يُغري بينهم العداوة البغضاء كما وقع لهم قبل تشتيتهم.. إذ كانوا في فلسطين مملكة ثم مملكتين.. فسودوا العصر كله بالفتن والمنازعات الدينية والسياسية والاقتصادية.. كما أن تجمعهم في رقعة سيحرمهم من الخيرات العالمية التي ملأت خزائنهم بالذهب.. ومكنتهم من التسلط على خيرات العالم وأهله عن طريق التطفل على أرزاق غيرهم واستغلال عجزهم وغفلتهم وإثارة شهواتهم وغرائزهم البهيمية ليخضعوهم كالحيوانات

وإن تجمعهم سيضطرهم للاعتماد على جهودهم وحدهم مع أن تطفل بعضهم على بعض عسير.. وهم كالجراثيم يعيشون عيشتها المتطفلة على أجسام الناس.. وما كان للجراثيم إلا أن تعيش إلا متطفلة.. وما كان لتطفلها أن يتحقق إلا في أجسام الناس لا في تطفل بعضها على بعض .

فالذين يقصرون الخطر اليهودي أو خطر الدولة اليهودية على هذه الرقعة الضئيلة في فلسطين - أو في الشرق الأوسط - قوم لا يفهمون أحداث التاريخ وتياراته وروحه.. ولا يفطنون إلى نُظم الاجتماع البشري.. ولا يعرفون الكفاية عن الروح المالية لليهود.. وخير

لهم ولبلادهم أن لا يشتغلوا بسياستها وتوجيهها.. فهم في ذلك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.. وأن كانوا في غير السياسة من العباقرة.

أن اليهود لا تتأدى بهم الغفلة وهم يؤسسون إسرائيل في فلسطين.. أو أقطار الشرق الأوسط إلى حد نزحهم جميعاً من أقطار العالم.. وتكدسهم في هذه الدولة.. وكان كل ما يهدفون إليه في رأيي هو اتخاذ هذه الدولة مركزاً يتدفق إليه ذهبهم.. ويسيطرون منه على التجارة وأعمال الصرافة العالمية بين الشرق والغرب.. وينشرون منه المكايد التي تطيح بالعوائق ضد تسلطهم على العالم.. هذا مع احتفاظهم بتشتتهم في أقطار الأرض كما هم الآن.. ليسيطروا عليها ويستغلوها فمن ضاق به العيش في بلده هاجر إلى هذه الدولة.

ومع ذلك فالدولة اليهودية قائمة.. ولكن على طريقتها الشاذة.. ومن مصلحتهم أن تكون كذلك.. فلو تجمعوا داخل بقعة مع قلتهم - كأي شعب صغير من الأمميين وكما كانوا أثناء تجمعهم في فلسطين قبل تشتتهم - لكانوا عرضةً لكوارث الطبيعة كالزلازل والقحط.. ولغارات جيرانهم الأقوياء.. وهم أقلية يسهل القضاء عليهم أو إضعافهم إذا تجمعوا جميعاً في إقليم.

وتلمس سطوة الدولة اليهودية ونفوذها في تسلطهم على اقتصاديات الدول الكبرى كأمريكا وروسيا.. وكثير من الدول الصغرى وفي تسلطهم على حكوماتها ومذاهبها.. فهم في الدول الديمقراطية يجمعون المال بما تعترف به هذه الدول لكل الناس من حق الحرية في جمعه.. وهم في الدول الدكتاتورية يستميلون حكامها بذهبهم ونسائهم وكل ما لديهم من قوة ونفع لا يستغنى عنه هؤلاء الحكام.. كي يتركوا لليهود نشاطهم الاقتصادي وغيره فيها.

وكذلك نلمس سطوة دولتهم القائمة فعلاً في استيلائهم على الحكم في روسيا.. فالمكتب السوفيتي هناك الآن يتألف من سبعة عشر عضواً: منهم أربعة عشر يهودياً صريحاً وثلاثة من أصول يهودية أو من صنائع اليهود.. وزوجات الثلاثة يهوديات.

وأعضاء المكتب الشيوعي الأعلى في بولندا أحد عشر منهم سبعة يهود صرحاء.

وكانت تسيطر على سير الأمور في رومانيا (أنا بوكر) اليهودية الشيوعية.. وأعضاء المجلس الشيوعي في المجر خمسة كلهم يهود. وتشيكوسلوفاكيا في قبضة ثمانية رجال منهم خمسة يهود. ومن أعضاء مجلس العموم البريطاني الحالي[1] ثمانون نائباً يهودياً صريحاً عدا المتنصرين منهم وصنائعهم من النواب.. وعلى يد بريطانيا تحطمت الخلافة العثمانية التي أبى خليفتها السلطان (عبد الحميد الثاني)[2] أن يبيع جانباً من فلسطين ليتخذوه وطناً قومياً.

وقد تمكن رئيس وزراء بريطانيا اليهودي (دزرائيلي)[3] بذهب اليهودي (روتشيلد)[4] من أن يشتري نصيب مصر في أسهم قناة السويس لبريطانيا بأربعة ملايين جنيه كي تكون بريطانيا إلى جوارهم في فلسطين فتساعدهم على إنشاء وطنهم القومي. وبريطانيا هي التي تسلطت على فلسطين عقب الحرب العالمية الأولى عن طريق الانتداب

---

(١) لاحظ أن الأستاذ التونسي يستشهد بالوضع القائم وقت كتابته تلك المقدمة.

(٢) عبد الحميد بن عبد المجيد الأول السلطان الرابع والثلاثين من سلاطين الدولة العثمانية.. وآخر من امتلك سلطة فعلية منهم.. وُلِدَ في ٢١ سبتمبر ١٨٤٢ م.. وتولى الحكم عام ١٨٧٦ م.. أبعد عن العرش عام ١٩٠٩ م بتهمة الرجعية.. وأقام تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته في ١٠ فبراير ١٩١٨ تلقى السلطان عبد الحميد تعليمه بالقصر السلطاني ودرس من اللغات بالإضافة إلى التركية: الفارسية والعربية والفرنسية وكذلك درس التاريخ والأدب وأولى اهتمامًا بالشعر.. أظهر السلطان روحا إصلاحية وعهد بمنصب الصدر الأعظم إلى مدحت باشا أحد زعماء الإصلاح فأمر بإعلان الدستور وبداية العمل به.. وقد كان الدستور مقتبسا عن دساتير دول أوربية مثل: (بلجيكا وفرنسا وغيرها).. وضم الدستور ١١٩ مادة تضمنت حقوق يتمتع بها السلطان كأي ملك دستوري.. كما نصب الدستور على تشكيل مجلس نواب منتخب دعي بهيئة المبعوثان.. يعرفه البعض.. بـ(اولو خاقان) أي ("الملك العظيم") وعرف في الغرب باسم "السلطان الأحمر".. أو "القاتل الكبير" بسبب مذابح الأرمن التي وقعت في فترة توليه منصبه.. يعتبر، كثير من المسلمين آخر خليفة فعلي للمسلمين لما كان له من علو الهمة للقضايا الإسلامية وما قام به من مشروع سكة حديد الحجاز التي كانت تربط المدينة المنورة بدمشق وكان ينوي أن يمد هذا الخط الحديدي إلى كل من استانبول وبغداد.. رحب جزء من الشعب العثماني بالعوده إلى الحكم الدستوري بعد إبعاد السلطان عبد الحميد عن العرش في اعقاب ثورة الشباب التركي.. غير أن الكثير من المسلمين ما زالوا يقدّرون قيمة هذا السلطان الذي خسر عرشه في سبيل أرض فلسطين التي رفض بيعها لزعماء الحركة الصهيونية.. وتوفي السلطان عبد الحميد الثاني في المنفى في ١٠ فبراير من عام ١٩١٨.

(٣) هو بينجامين دزرائيلي سياسي بريطاني (٢١ ديسمبر ١٨٠٤-١٩ أبريل ١٨٨١) تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا مرتين.. من ٢٧ فبراير إلى ١ ديسمبر ١٨٦٨ من ٢٠ فبراير ١٨٧٤ إلى ٢١ أبريل ١٨٨٠..

(٤) سنتحدث عن سيرته وسيرة عائلته بالتفصيل في قراءتنا التطبيقية للبروتوكولات.

بعد تحلل الخلافة الإسلامية التي أبت الخضوع قبل ذلك لمطالب اليهود.. وأن أول مندوب سام لبريطانيا.. وأول نائب عام لها في فلسطين يهوديان.. وبريطانيا قد فتحت لهم أبواب الهجرة على مصراعيها بعد الانتداب.. وتحت حمايتها أسس اليهود مستعمراتهم.. وزرعوها.. وكونوا جامعتهم ومدارسهم ومعابدهم.. ودربوا فرق جيشهم.. فلما نضجت الثمرة تركوها خالصةً لهم.. وحرص بريطانيا الدائم على نفوذها في الشرق الأوسط إنما هو لمصلحتها ولتحمي إسرائيل الضعيفة من جيرانها العرب.. وهي التي تغري الفتنة بين الأقطار العربية.. كي لاتقوى فتخرجها من الشرق وتخرجهم من فلسطين.

فبريطانيا تمثل معهم دور "البلطجي" أو الخفير القوي مع مستغل الأرض الضعيف مستأجراً أو مالكاً.. فهي تحمي مصالحهم في كل بلد لها فيه نفوذ.. لقاء ما تجنيه من نفع هناك على أيديهم.. ولقاء ما لهم من نفوذ اقتصادي وغيره في العالم لا سيما أمريكا التي لاغنى لبريطانيا عنها منذ الحرب العالمية الأولى.. فمستغل الأرض كلما أحس بشيء من قدرته على حراسة جانب من الأرض وحده.. حد من نفوذ الخفير على هذا الجانب الذي يقدر المستغل على حراسته بنفسه.. وما دام المستغل عاجزاً عن حراسة بعض الأرض أوكلها فهو مضطر إلى جهود الحارس كلها أو بعضها بمقدار حاجته إليه.

فلو كان لليهود قوة الآن على توسيع إسرائيل من أي جانب.. لما وقفت بريطانيا ولا غيرها في وجههم.. ولساعدتهم بقدر ما لها هي من مصلحة في هذه المساعدة.. ولكن اليهود في إسرائيل قوم حصفاء لا يتهورون.. فهم يحاولون الآن مضغ اللقمة التي انتزعوها أولاً قبل أن يندفعوا إلى انتزاع غيرها فيعجزوا.. أو ينتزعوها ولكنه لا تتنزع ثانية من أفواههم قبل ازدرادها.. أو يزدردوها بمشقة ليسوا الآن أهلاً لتحملها.. وأما اللقم التي في أيدي غيرهم فهم مطمئنون إلى بقائها سليمة في أيدي أصحابها لا تؤكل حتى تقع في أيديهم.. والبركة في بريطانيا حامية الشرق التي تكفل لهم جيوشها الحيلولة بين اللقم وأفواه أصحابها الجائعين.

ونفوذ اليهود في أمريكا لا يعادله نفوذ.. فهم الذين مكروا لبريطانيا حتى أخرجوا أمريكا في الحرب العالمية الأولى من عزلتها التقليدية عن مشاكل العالم فحاربت في صف بريطانيا مقابل أمور منها وعد "بلفور" اليهودي في الوزارة البريطانية عندئذ.. إذ وعدهم بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.. وحمل الدول جميعاً على الاعتراف بالوعد في مؤتمر الصلح.. ثم العمل على تنفيذه تحت حماية بريطانيا بعد انتزاع فلسطين من الخلافة العثمانية ووضعها تحت الانتداب.

ولولا اليهود لما أمكن بريطانيا إخراج أمريكا من عزلتها التقليدية.. وكان في إخراج أمريكا من عزلتها فوائد أخرى منها تحطيم الرأسمالية غير اليهودية في أمريكا.. وفتح أسواق جديدة لرؤوس الأموال اليهودية الأمريكية التي كانت سياسية العزلة خلال الحرب تحول بينها وبين الإنسياح في أقطار العالم خارج أمريكا.. والسياسة في أمريكا الآن خاضعة إلى حد بعيد لنفوذ اليهود.. وهم يملكون خفية بحكم الواقع كثيراً من المناصب.. ومنها رئاسة الجمهورية.. و(ترومان) واحد منهم دون شك.. ومستشار البيت الأبيض يهودي.. وكثير من الوزراء وأعضاء الكونجرس من اليهود أو صنائعهم.. وهم يلجئون دائماً إلى التقنع بغيرهم من حكام الأمميين مسيحيين ومسلمين طالما كانت مصلحتهم في التقنع.. حتى لا يثيروا ريب الأمميين ضدهم فيما إذا اكتشفوا خطرهم اليهودي ضد مصالحهم.. وقد نجح اليهود أخيراً في جعل الدولار الأمريكي أساس النقد في العالم.. وفي أيديهم هم تقبع قوة الدولار.

وهم يحاولون - كما قدمنا - أن يجروا القوتين: الشيوعية والديمقراطية إلى حرب عالمية ثالثة تقضي عليهما معاً.. وكذلك على كل نفوذ غير يهودي في العالم.. وإلى الصين الآن ينفذون عن طريق روسيا الشيوعية اليهودية.. وقد حاولوا فتح الأسواق اليابانية في أواخر القرن التاسع عشر.. فساعدوا اليابان بالأموال والأسلحة ضد روسيا التي كانت المذابح والاضطهادات تنصب فيها يومئذ على اليهود.. وكان ذلك من أسباب انتصار اليابان على روسيا سنة ١٩٠٥ ثم فتح الصين أمامهم.. ولكن اليابان

أغلقت الباب في وجوه اليهود بعد أن انتصروا على روسيا.. ومثل هذا يُقالُ عن نفوذهم في غير هذه البلاد كفرنسا وإيطاليا وألمانيا وتركيا.

وهم الذين يعملون على أن تحل المشاكل دولياً.. فهم دُعاة السلام بعد كل حرب لم تقم إلا بسبب مكايدهم.. وهم يستفيدون وحدهم في السلم والحرب أكثر من المسالمين والمحاربين.. وهم الذين دعوا إلى إنشاء عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى وكان أكثر السكرتيرين فيها يهوداً.. وكذلك دعوا إلى إنشاء مجلس الأمن وهيئة الأمم بعد الحرب العالمية الثانية.. وكانت دعوتهم إلى إنشائها في مصلحة العالم إجمالاً فنجحت بعض النجاح.. ولم يزل أعضاء مختلف وفود البلاد إلى هذه المؤسسات جميعهم أو أكثريتهم من اليهود أو صنائعهم.. أو من يعطفون عليهم.. واليونسكو منظمة تكاد تكون يهودية خالصة موضوعاً.. وشبه يهودية شكلاً.

وما خلت وزارة منهم أو مجلس نواب أو شيوخ أو مجلس بنك أو شركة في مختلف الأقطار.. زيادة على من لهم فيها من صنائع.. فكان على رأس الوزارة البريطانية بعد الحرب العالمية الأولى (لويد جورج) وكان عطفه عليهم مشهوراً.. وكان عضوان يهوديان في وزارته.. كما كان ستة يهود مستشارين للملك هناك.. ومن وزرائهم في بريطانيا (صمويل هور).. وكان وفد بريطانيا إلى أمريكا لتصفية مشاكل تلك الحرب برئاسة اللورد (ريدنج اليهودي) الذي صار بعد ذلك رئيس قُضاة بريطانيا ثم نائب الملك في الهند.. ومثله كان السير (ماتيو ناثان) حاكماً على "كوينز" من ممتلكات التاج.

وأكبر محطمي القيصرية في روسيا هم اليهود وكان على رأسهم كرينسكي وتروتسكي وزينوفيف ورادك اليهود.. وكان للذهب اليهودي الأمريكي والفدائيين اليهود من الروس أوفر نصيب في تحطيم القيصرية وتمكين الشيوعيين من روسيا كما بينا فيما بعد.

وبعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى كان معظم الوفد الألماني في مؤتمر الصلح من اليهود.. وكذلك معظم القابضين على زمام ألمانيا.. وكان شيفر للمالية وهاز

للخارجية.. وكان وزراء بروسيا جميعاً يهود.. وحاكم بافاريا يهودياً.. وكان القابض على الحكم في المجر بيلاكين يهودي واسمه أصلاً "كوهين".

ولهذا النفوذ اليهودي في روسيا من جانب.. والدول الديمقراطية بريطانيا وأمريكا وفرنسا.. من جانب آخر أمكن التفاهم بين الجانبين ضد هتلر وهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية.. بعد أن كانت روسيا مع هتلر أولاً.. وإلى هذا النفوذ يرجع اتفاق أمريكا وروسيا معاً - في وجهة النظر - على الاعتراف بدولة إسرائيل.. وإليه يرجع خذلان الأمم جميعاً لمصر في موقفها أمام بريطانيا في مسألة مرور السفن البريطانية في قناة السويس.. فإن انتصار بريطانيا من مصلحة اليهود الذين أضرهم احتفاظ مصر بحقها في قناة السويس ومقاطعتها إسرائيل مع أن حق مصر القانوني واضح كالشمس.

وموقف تركيا منذ انقلاب (أتاتورك)[1] تجاه العرب واليهود لا يفسره إلا نفوذ اليهود في تركيا.. فلو بقيت الخلافة العثمانية - رغم ضعفها - قائمةً لما أمكن قيام وطن يهودي في فلسطين.. فاستهدف اليهود تركيا لذلك بتسليط بريطانيا عليها أثناء الحرب العالمية الأولى.. وكادت بريطانيا تعقد الصلح مع تركيا أثناءها.. ولكن اليهود عطلوه بزعامة وايزمان رئيس إسرائيل - كما ذكر هو ذلك في مذكراته - وبمساعدة بعض النساء فهم الذين حالوا دون الصلح بينهما حتى تنهار تركيا وتنحل خلافتها وتمتد حاجة

(١) مصطفى كمال أتاتورك وُلِدَّ في ١٩ مايو ١٨٨١ في مدينة سلانيك اليونانية وكانت تابعة للدولة العثمانية وقتئذ وتوفي في ١٠ نوفمبر ١٩٣٨.. أطلق عليه اسم الذئب الأغبر.. واسم اتاتورك (أبو الاتراك) وذلك للبصمه الواضحة التي تركها عسكريا في الحرب العالمية الأولى وما بعدها وسياسيا بعد ذلك وحتي الآن في بناء نظام دولة تركيا الحديثة.. انتخبته الجمعية الوطنية الكبرى رئيسًا شرعيًا للحكومة.. فأرسل مبعوثه "عصمت باشا" إلى بريطانيا (١٣٤٠هـ = ١٩٢١م) لمفاوضة الإنجليز على استقلال تركيا.. وفي منتصف أكتوبر أصبحت انقرة عاصمة الدولة التركية الحديثة وفي ٢٩ أكتوبر أعلنت الجمهورية وأنتخب مصطفى كمال باشا بالإجماع رئيساً للجمهورية. في ٣ مارس١٩٢٤م ألغى مصطفى كمال الخلافة العثمانية.. وطرد الخليفة وأسرته من البلاد.. وألغى وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية.. وحوّل المدارس الدينية إلى مدنية.. وأعلن أن تركيا دولة علمانية.. واستخدم الأبجدية اللاتينية في كتابة اللغة التركية بدلاً من الأبجدية العربية.. خلال الخمسة عشر عام التي أمضاها أتاتورك في الرئاسة أورد نظاما سياسيا وقضائيا جديدا.. محى الخلافة وأنهاها وجعل كلا من الحكومة والتعليم علمانيا وحقق تقدما في الفنون والعلوم والزراعة والصناعة من خلال المساعدات من الإنجليز.. حل برلمان إسطنبول المعارض له واستبدله ببرلمان أنقرة.. في عام ١٩٣٤ عندما تم تبني قانون التسمية اعطاه البرلمان الجديد اسم أتاتورك أبو الاتراك.

بريطانيا بشدة إلى اليهود.. كما كان لهم نصيب كبير في إلغاء الخلافة.. وكان أحد الثلاثة الذين سلموا الخليفة قرار العزل يهودياً.. وكان لنفوذهم أكبر الأثر في تجنب تركيا لدينها الإسلامي وقوانينها الإسلامية.. ومحاربة اللغة العربية.. وإنكار صلتها بالعرب.. لأن اليهود ولا سيما (الدونمة)[1] في سلانيك - وغيرها - وهم يهود يتظاهرون بالإسلام - هم الداعون إلى الجامعة الطورانية للتخلص من الإسلام واللغة العربية وصلة الترك بالعرب.. وكان لذلك أثره في أن اصطبغ بهذه الألوان حكم مصطفى كمال الملقب أتاتورك.. وقد كان فيه عرق من "الدونمة".

وكان حاخام اليهود (حايم ناحوم)[2] هناك.. وهو الذي فتح لليهود يومئذ باب الهجرة إلى تركيا ليكونوا بالقرب من فلسطين ثم صار مبعوث مصطفى كمال إلى مؤتمر

---

(١) الدونمة هي طائفة من اليهود من أتباع سباتاي زيفي الذي ادعى أنه المسيح.. لكنه أسلم بعد أن تم القبض عليه في عهد السلطان محمد الرابع.. فتبعه قسم من اليهود الذين عرفو لاحقاً بالسبتيين أو الدونمة.. الدونمة "Dönmeh" كلمة تركية مركبة من جزئين "دو" بمعنى أثنين (فارسية الأصل) و"نمة" بمعني نوع ومعني الكلمة الفرقة القائمة على نوعين من الأصول: النوع اليهودي والنوع الإسلامي.. وقد أختارها الأتراك وأطلقوها على هؤلاء اليهود المتظاهرين بالإسلام.. حيث أضمروا اليهودية في نفوسهم.. المؤسس الأول لهذه الفئة "سباتاي زيفي" وُلِدَّ في يوليو ١٦٢٦.. بمدينة أزمير التركية من أبوين يهوديين مهاجرين من أسبانيا.. وقام بنشاط كبير في تنشيط الفكرة وتأصيلها.. وبعد أن توفي عام ١٦٧٥م سار أتباعه على دربه في محاولة للحفاظ على وحدة وتواصل الجماعة.

(٢) حايم نحوم أفندي الحاخام الأكبر لليهود في مصر منذ تعيينه في هذا المنصب بمرسوم ملكي صدر في ٢ مارس ١٩٢٥ وحتي وفاته في ١٣ نوفمبر ١٩٦٠.. تم تعيينه عضوا في مجمع اللغة العربية بمرسوم ملكي آخر في ١٣ ديسمبر ١٩٣٢.. هو تركي المنشأ وُلِدَّ في سنة ١٨٣٧ في قرية مغنسيا التي تقع بالقرب من مدينة أزمير التركية.. تعلم في كلية الحقوق التركية ثم أكمل تعليمه في جامعة السوربون الفرنسية.. هاجر من تركيا إلي مصر في أوائل القرن العشرين.. وحصل علي الجنسية المصرية في سنة ١٩٢٩.. تم تعيينه في مجلس الشيوخ المصري في فترة من الفترات قبل ثورة ١٩٥٢ عرف حايم نحوم كشخصية محبوبة ومحترمة في الأوساط السياسية والثقافية لمواقفه الوطنية وتحفظه تجاه الصهيونية وهجرة اليهود المصريين إلي إسرائيل آنذاك.. من بيانه الذي أصدره عندما وقع العدوان الثلاثي علي مصر ونشرته جريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٥٦:"إننا نود مرة أخرى أن نشارك مواطنينا في استنكار الاعتداء البريطاني الفرنسي الإسرائيلي الغاشم علي وطننا العزيز مصر.. وإننا نرفع إلي المولي عز وجل أحر الدعوات لمجد مصر ورفاهيتها وسعادة أبنائها جميعا.. إن اليهود المصريين جزء لا يتجزأ من الأمة المصرية.. وهم يتمتعون بكل ما يتمتع به المواطن المصري الصالح.. وعلي ذلك.. فليس لأي دولة أجنبية.. سواء أكانت هذه الدولة هي إسرائيل أم غيرها.. أي صفة للتحدث باسمهم.. إذ أن اليهود المصريين هم مصريون أولا.. وهم يشاركون مواطنيهم جميعا في شعورهم الوطني النبيل . كتب عنه الأديب توفيق الحكيم قائلا:"إن في حياتنا المصرية المعاصرة حادثة تدل علي أننا لم نجعل بين الأديان فواصل أو حواجز.. فقد كان ضمن أعضاء المجمع اللغوي الذي يتحمل مسئولية الحفاظ علي

لوزان ثم عينه حاخاماً لليهود في مصر.. وما نشب من خلاف بين العرب وإسرائيل إلا ووقفت تركيا فيه مع إسرائيل.. فهي تعترف بها وتصوت معها في هيئة الأمم وتمدها بالأسلحة وتجمع لها الأقوات.. والعبرة في العلاقات لا سيما الدولية بالمصالح غالباً لا بأي شيء آخر.. وأن مصلحة تركيا في تأييد اليهود أكبر من مصلحتنا في تأييد العرب والمسؤول عن ذلك ساسة العرب والترك.

وإذن فأي دولة صغرى أو عظمى كأمريكا أو روسيا أو فرنسا أو بريطانيا لا تستطيع محاربتها بأسهل مما يحارب به نفوذ هذه الدولة اليهودية؟ وإذا كان المعيار لقوى دولة ما هو نفوذها.. فأي دولة أقوى نفوذاً من اليهودية؟.

أن قيام مثل هذه الدولة على هذا النحو الغريب لا يكلفها مثلاً الإنفاق على جيش كبير لحمايتها.. ولا يعرضها لكوارث الطبيعة ولا لغارات جيوش الأعداء لأنها مشتتة موزعة في كل أنحاء العالم.

ليس لهذه الدولة إقليم معين في العالم.. لكنها تمتد إلى كل أقطاره.. فحيث يقوم نشاط يهودي تقوم دولتهم.. والاستعمار لم يجن من الخير لأي دولة استعمارية.. ولم يحمها من شرور المستعمرين وغيرهم ما جنى للدولة اليهودية استعمارها العالم على هذا النحو الغريب.. وليست العبرة في الاستعمار بكثرة الجيوش والأساطيل.. بل بالتسلط الاقتصادي والفكري والسياسي.. وهو مكفول لليهودية فهم من أعظم سادة العالم

اللغة العربية عضو ربما يبدو غريبا.. هو الحاخام الأكبر لليهود في مصر حايم نحوم أفندي.. وهو معروف بعلمه الغزير في أصول اللغة العربية".توفي حايم نحوم أفندي في ١٣ نوفمبر ١٩٦٠ وعقد المجمع اللغوي جلسة لتأبينه اختير فيها الأديب عباس محمود العقاد ليلقي كلمة في وداع زميلهم.. كان من ضمن ما قال:"لقد كان ترشيح حاييم نحوم للعمل بمجمع اللغة العربية توفيقا حسنا واختيارا صادف أهله.. لأنه كان علي حظ وافر من معرفة اللغات.. وهي أداة صالحة من أدوات الدراسات اللغوية وكان ((ناحوم أفندي)) يتقن الفرنسية والإسبانية والتركية والعربية والعبرية والحبشية.. ولا شك أن هذه الإحاطة الواسعة بلغات الحضارة والثقافة المختلفة هي زاد طيب يتزود به من يبحث في أسرار الكلمات والتعابير وقواعد التركيب المتقابلة عند شتى الأمم" وأضاف:"إن الزميل الراحل قد صحب مجمع اللغة العربية بهذا العلم وهذا الخلق منذ بدأ المجمع حياته وكان قدوة في أدب الزمالة وحق العلم وديدن المثابرة.. ولم ينقطع عن المشاركة في الجلسات وهو قادر على مبارحة داره وأداء عمله وقد كان مجبولاً منذ نعومة أظفاره على حب المعرفة والعلم والاطلاع.

بنفوذهم لا شك.. وبهذا يقاس خطرهم.. ولا يقاس بدولة إسرائيل معزولة عن قوة اليهود العالمية.. ولا بمضاعفة إسرائيل على هذا النحو ألف ضعف.

اليهودية تعبث بالأديان والثقافات لمصلحتها

اليهودي يهودي قبل كل شيء.. مهما تكن جنسيته ومهما يعتنق من عقائد ومبادئ في الظاهر ليخدم باعتناقها نفسه وأمته.. فهو يتجنس بالجنسية الإنجليزية أو الأمريكية أو الفرنسية ويؤيد جنسيته طالما كان ذلك في مصلحة اليهودية.. فإذا تعارضت المصلحتان لم يكن إلا يهودياً.. فيعضد يهوديته ويضحى بجنسيته الأخرى.

واليهودي يسلم أو ينتصر نفاقاً ليفسد الإسلام والمسيحية.. أو يوجه تعاليم هذا الدين الجديد وتقاليده وجهة تعود بالخير على اليهود.. أو تبث روح المودة لهم والعطف عليهم.. وحيثما ظهر مبدأ أو دين أو مذهب علمي أو فلسفي.. هب اليهود ليكونوا من ورائه.. ويتصرفوا معه بما ينفعهم.. وحيث ظهر اضطهاد لهم ظهرت الدعوة إلى الحرية والإخاء والمساواة.. وتاريخهم مع الإسلام هو تاريخهم مع كل دين ومذهب.. فقد حاربوه في البدء ظاهراً أعنف حرب.. حتى إذا فشلوا ارتدوا يسالمونه سلاماً كان شراً عليه من حربه الظاهرة.. وأسلم منهم في عهد الخلفاء الراشدين وبعده كثير.

فكعب الأحبار مثلاً يفسر القرآن.. ويروي الأخبار ويملأ ذلك كله بما يسمى عندنا (الإسرائيليات)[1].. ثم يسير كثير من اليهود بعده سيرته.. حتى أن تخليص الكتب

---

(١) الإسرائيليات هو اسم يطلق على الأحاديث الموضوعة المنقولة من كتب التوراة والإنجيل.. في علم الحديث تستخدم أيضاً كلمة إسرائيليات لوصف حديث ضعيف أو غير موثوق به.. أصل الكلمة يعود إلى أعراف وتقاليد (اليهودية - المسيحية) وأيضاً من النبي محمد صلى الله عليه وسلم.. الإسرائيليات غالبًا ليس لها قصص مفسّرة في الكتاب المقدس.. وفي اليهودية وهي أن تعطي معلومات أكثر أو تفسيرات حول الأحداث والقصص التي حدثت عن طريق شخص في النصوص اليهودية.. وأغلبها تكون محرفة وغير صحيحة روي عن جابر بن عبد الله في البداية والنهاية أن عمر بن الخطاب أتى النبي بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي قال فغضب وقال أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب.. والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذّبوا به.. أو بباطل فتصدقوا به.. والذي نفسي بيده.. لو أن موسى -صلى الله عليه وسلم- كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني أخرجه الإمام أحمد في المسند. كان لليهود ثقافة دينية تعتمد أول ماتعتمد على التوراة.. وكان للنصاري ثقافة دينية تعتمد في الغالب علي الإنجيل وحينما دخل كثير من أهل الكتاب في الإسلام.. حملوا معهم ثقافتهم الدينية من الأخبار والقصص الدينية.. وكان هؤلاء حينما يقرأون قصص القرآن.. يذكرون التفصيلات الواردة في التوراة

الإسلامية الجليلة من الإسرائيليات لتنوء به كواهل عشرات الجماعات من أولى العزم.. ثم أنه من جهة أخرى يشترك في المؤامرة بقتل عمر ويخبره بذلك مكراً قبل حدوثه بثلاثة أيام ويقرر له أنه رأى ذلك في التوراة.. فإذا دهش عمر من ذكر اسمه فيها تخلص كعب بأن ما جاء فيها هو وصفه لا اسمه.. وهو مع ذلك يوصيه بأن يستخلف غيره قبل موته ثم يقتل عمر بعد ذلك بثلاثة أيام كما حدد كعب..

وهناك غشه لعثمان بعد ذلك ثم غشه لغيره من كبار المسلمين مما يطول شرحه.

وينشط (عبد الله بن سبأ)[1] نشاطاً من نوع آخر.. فهو يثير غضبة المسلمين على خليفتهم (عثمان بن عفان) لما أحدثه من أمور.. فإذا طرد من إحدى الأمصار ذهب إلى غيرها ونشط هذا النشاط المرعب. وهو في تنقلاته بين العراق ومصر والشام يؤسس (الخلايا السرية) التي تنقم على عثمان وتثير النقمة عليه.. وهو يستميل إليه بعض أفاضل الصحابة من الجانب الضعيف المكشوف فيهم ليثوروا معه. وهو يغري الرعاع بالأعلياء.. ويفسد ثقة الجميع بعضهم ببعض.. حتى ينتهي الأمر بقتل عثمان وانقسام

والإنجيل.. وتلك الأخبار التي تحدث بها أهل الكتاب يطلق عليها اسم الإسرائيليات.. وأكثر مايروى من هذه الأخبار عن أربعة هم: عبد الله بن سلام.. وكعب الأحبار.. ووهب بن منبه وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج.. وقد اختلفت أنظار العلماء في الحكم عليهم والثقة بهم ما بين مجرح وموثق.أمثلة على الإسرائيليات أن داوود أرسل أحد الأشخاص إلى الحرب ليقتل للانفراد بزوجته لأنه كان معجب بها..

(١) عبد الله بن سبأ.. يهودي ادعى الإسلام نفاقاً.. شخصية وجودها محل خلاف و تنسب اليه روايات تاريخية على أنه مشعل الاضطرابات والاحتجاجات ضد الخليفة الثالث عثمان بن عفان وأحد الغلاة بحب ومدعي ألوهية الامام علي بن أبي طالب بل يقولون أنه أصل هذه الفكرة. . يعتبر بن سبأ أول من نادى بولاية علي بن ابي طالب وان لكل نبي وصي وان وصي الامة هو علي بن ابي طالب.. وهو أول من اظهر الطعن والشتم في الصحابة وخصوصاً أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعائشة زوجة الرسول محمد . نسب إليه أنه من أشعل الثورة على عثمان بن عفان وكان السبب في معركة الجمل بعد ذلك.. ينسب لابن سبأ أنه أول من غالى في علي وأضفى عليه صفات غير بشرية مما اضطر علي بن أبي طالب إلى التبرؤ منه.. مؤخرا يحاول بعض المؤرخين أن يجعل ابن سبأ أصل التشيع بصفة عامة وأصل الفتن الإسلامية الأولى كفتنة مقتل عثمان وحرب الجمل ويرجعونه لأصول يهودية مما يجعل تشتت شمل المسلمين جزءا من مؤامرة يهودية كبرى.. لكن بالمقابل ينفي المؤرخون الشيعة وجود ابن سبأ أساسا.. ويناقش البعض إمكانية أن يكون لشخص مفرد هذا التأثير الكبير على مجرى تاريخ أمة بكاملها.. فمثل هذه الأزمات في رأيهم تكون نتيجة عوامل كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية قد يكون ابن سبأ بما زعم عنه من تأثير عقائدي أحدها لكنه لا يستطيع أن يختصرها جميعا.

المسلمين أحزاباً ويثير الاحزاب المختصمة بعضها على بعض.. ويغريها بالقتال. وينشب السبئية الرعاع الحرب بين جيش علي وأصحاب الجمل قبل أن يأمر به القواد.. وهو من ناحية أخرى ينشط لنشر المبادئ الهدامة للإسلام.. فيدعو إلى الإيمان برجعة النبي(ص) بعد موته.. وإذا قُتِلَ الإمام علي(كرمّ الله وجهه) أعلن أنه ينكر قتله ولو أتوه برأسه ميتاً سبعين مرة.

وهكذا انخدع المسلمون فحشدوا في كتبهم وعقولهم خرافات التوراة.

وهكذا فعل اليهود مع المسيحيين وغيرهم من ذوي النِحل والمذاهب.. فهم قد اندسوا من وراء الإسلام والمسيحية حتى صار كثير من المسلمين والمسيحيين يعترفون لهم بقداسة كتبهم.. ويلقونها هي وأبطالها بالولاء.. وقد أفلحت الدعاية اليهودية في طبع كثير من العقائد والنحل بما يحقق مصلحتهم.. فنرى روح الولاء والتهليل لبني إسرائيل ومقدساتهم يهيمن على بعض المقدسات المسيحية والإسلامية.. ولذلك يتحرج كثير من المسلمين والمسيحيين عن مقابلة أعمال الإسرائيليين بما تستحقه من النظر الصحيح والجزاء الرادع.. اعتقاداً منهم بأن هذه هي إرادة الله.

ولما كان تفصيل ذلك وتأييده بالواقع مما لا يحتمله إلا كتاب ضخم فإننا نقفز قفزةً واسعة إلى العصر الحديث فنرى أن اليهود من وراء كل مذهب وفلسفة ونظرية وكل نشاط إنساني: ينشرون مبادئ الإخاء والحرية والمساواة إذا أحسوا الاضطهاد. وما ظهر مذهب فكان مؤدياً إلى مسهم بالأذى من قريب أو بعيد إلا قتلوه.. أو حوروه بما يفسده هو وينفعهم هم. وكل ما كان مؤدياً إلى خير لهم مباشرة روجوه في كل أنحاء العالم ورفعوا صاحبه بين أساتذة الثقافة العالميين ولو كان حقيراً.. وكذلك يروجون لكل قلم ما دامت آثاره عن قصد أو غير قصد تساعد على إفساد الناس ورفع شأن اليهود كما فعلوا مع نيتشه الذي تهجم على المسيحية وأخلاقهم. ويقسم الأخلاق قسمين: أخلاق سادة كالعنف والاستخفاف بالمبادئ.. وأخلاق عبيد كالرحمة والبر مما يتفق

وروح اليهودية وتاريخها ويمهد لها في الأذهان ويجعلها سابقة على (نيتشه)[1] وكذلك روجوا مذاهب التطور وأولوه تأويلات ما خطرت لـ (داروين)[2] نفسه على بال.. واستخدموه في القضاء على الأديان والقوميات والقوانين والفنون مظهرين أن كل شيء بدأ ناقصاً شائها يثير السخرية والاحتقار.. ثم تطور.. فلا قداسة إذن لدين ولا وطنية ولا قانون ولا فن ولا المقدس من المقدسات.. وهم يعبثون بعلوم الاقتصاد والاجتماع ومقارنة الأديان ويسخرونها لمصلحتهم وإفساد الآداب والنظم والثقافات والعقول في كل أنحاء

---

(١) فريدريك فيلهيلم نيتشه (وُلِدَ ١٥ أكتوبر.. ١٨٤٤ - ٢٥ أغسطس.. ١٩٠٠) فيلسوف وشاعر ألماني.. كان من أبرز المهدين لـ علم النفس.. وكان عالم لغويات متميزاً.. كتب نصوصاً وكتباً نقدية حول المبادئ الأخلاقية.. والنفعية.. والفلسفة المعاصرة.. المادية.. المثالية الألمانية.. الرومانسية الألمانية.. والحداثة عُموماً بلغة ألمانية بارعة.. يعد من بين الفلاسفة الأكثر شيوعا وتداولا بين القراء.. كثيرا ما تفهم أعماله خطأ على أنها حامل أساسي لأفكار الرومانسية الفلسفية والعدمية ومعاداة السامية وحتى النازية لكنه يرفض هذه المقولات بشدة ويقول بأنه ضد هذه الإتجاهات كلها.. في مجال الفلسفة والأدب.. يعد نيتشه في أغلب الأحيان إلهام للمدارس الوجودية وما بعد الحداثة.. روج لافكار توهم كثيرون أنها مع التيار اللاعقلاني والعدمية.. استخدمت بعض آرائه فيما بعد من قبل أيديولوجيي الفاشية.. رفض نيتشه الأفلاطونية والمسيحية الميتافيزيقيا بشكل عام.. ودعا إلى تبني قيم جديدة بعيداً عن الكانتية والهيغيلية والفكر الديني والنهلستية.. سعى نيتشه إلى تبيان أخطار القيم السائدة عبر الكشف عن آليات عملها عبر التأريخ.. كالأخلاق السائدة.. والضمير.. يعد نيتشه أول من درس الأخلاق دراسة تأريخية مفصلة.. قدم نيتشه تصوراً مهماً عن تشكل الوعي والضمير.. فضلا عن إشكالية الموت.. كان نيتشه رافضا للتمييز العنصري ومعاداة السامية والأديان ولاسيما المسيحية لكنه رفض أيضاً المساواة بشكلها الاشتراكي أو الليبرالي بصورة عامة..

(٢) تشارلز روبرت داروين هو عالم حيوان إنجليزي الجنسية.. اشتهر بنظرية التطور ومبدأ الانتخاب الطبيعي.. حول نشأة الإنسان..وُلِدَ في إنجلترا في ١٢ فبراير ١٨٠٩ في شرو سبوري لعائلة إنجليزية علمية وتوفي في ١٩ أبريل ١٨٨٢ عالم تاريخ طبيعي بريطاني.والده هو الدكتور روبرت وارنج داروين.. وكان جده "ارازموس داروين" عالماً ومؤلفاً بدوره.. اكتسب داروين شهرته كواضع لنظرية التطور بدأ اهتمام داروين بالتاريخ الطبيعي أثناء دراسته للطب ثم اللاهوت في الجامعة.. أدّت رحلته على متن سفينة البيغل والتي دامت خمس سنوات إلى تميّزه كجيولوجي وانتشار اسمه كمؤلف.. ومن خلال ملاحظاته للأحياء قام داروين بدراسة التحول في الكائنات الحية عن طريق الطفرات وطوّر نظريته الشهيرة في الانتخاب الطبيعي عام ١٨٣٨ م.. ومع إداركه لريّة الفعل الذي يمكن أن تحدثه هذه النظرية.. لم يصرّح داروين بنظريته في البداية إلا إلى أصدقائه المقربين في حين تابع أبحاثه ليحضّر نفسه للإجابة على الاعتراضات التي كان يتوقعها على نظريته.. وفي عام ١٨٥٨ م بلغ داروين أن هنالك رجل آخر.. وهو ألفريد رسل ووليس.. يعمل على نظرية مشابهة لنظريته مما أجبر داروين على نشر نتائج بحثه. داروين يعد من أشهر علماء علم الاحياء.. ألف عدة كتب في ما يخص هذا الميدان لكن نظريته الشهيرة ووجهت بانتقاد كبير وخصوصا من طرف رجال الدين في جميع أنحاء العالم.. دارون نفسه ظل حائرا في ما عرف بما سماه الحلقة المفقودة.. التي تتوسط الانتقال من طبيعة القردة للإنسان الحديث.

العالم.. ويدسون فيها نظريات مبهرجة لا يفطن إلى زيفها إلا الموهوبون ذوو العقول المستقلة. وهم وراء كل زي من أزياء الفكر والعقيدة والملبس والسلوك ما دام لهم في رواجه منفعة.. وهم أحرص على ترويجه إذا كان يحقق لهم المنفعة.. ويجلب لغيرهم الضرر.. ولا تخلو بلد كبيرة من مركز دعاية فكرية تروج لأمثال هذه الأزياء المذهبية والاتجاهات الهدامة.. وأخصها في البلاد الديمقراطية كفرنسا.. وأن ظروفها الخاصة المعاصرة والتاريخية لترشحها أكثر من غيرها لأداء هذه الرسالة المخربة.. ومن مقال للأستاذ العقاد عن (الوجودية: الجانب المريض منها)[1] قال ما نصه:

(١) الوجودية تيار فلسفي يعلي من قيمة الإنسان ويؤكد على تفرده.. وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه. وهي جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة.. وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم.. ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار المستقرة.. و تكرس الوجودية التركيز على مفهوم أن الإنسان كفرد يقوم بتكوين جوهر ومعنى لحياته.. وقد ظهرت كحركة أدبية وفلسفية في القرن العشرين.. على الرغم من وجود من كتب عنها في حقب سابقه.. الوجوديه توضح ان غياب التاثير المباشر لقوه خارجية (الإله) يعني بأن الفرد حر بالكامل ولهذا السبب هو مسؤول عن أفعاله الحرة.. والإنسان هو من يختار ويقوم بتكوين معتقداته والمسؤولية الفردية خارجاً عن اي نظام مسبق.. وهذه الطريقة الفردية للتعبير عن الوجود هي الطريقة الوحيدة للنهوض فوق الحالة المفتقرة للمعنى المقنع (المعاناة والموت وفناء الفرد).. وتوصف الوجودية بأنها حركة ثقافية انتشرت بين الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي.. ويلتبس مفهوم الوجودية على الكثير من رجال الشارع وحتى على بعض المثقفين لأن المصطلح غامض وحتى يصبح المصطلح أسهل فيجب أن نربطه بالأدب لان منشأ المصطلح هو الأديب جان بول سارتر وقد أنشأه وهو في المقاومة الفرنسية إبان الاحتلال النازي في الحرب العالمية الثانية حيث كثر الموت وأصبح الفرد يعيش وحيداً ويشعر بالعبثية أي عدم وجود معنى للحياة فأصبح عند الفرد حالة تسمى القلق الوجودي وبالحرب العالمية الثانية فقد الإنسان حريته وأصبح لا يشعر بالمسئولية ونشأ شعور باليأس وسبب هذا القلق الفناء الشامل الذي حصل نتيجة الحرب والذي يسمونه العدم فأصبح هناك حاجة فكرية لمناشدة الإنسان بأن يلتفت إلى ابراز قيمة الوجود وأهميته ثم إلى معناه ومواضيعه وبنظرة وجودية إلى الوجود والعدم.. ويبدأ فهم معنى الوجود بالدخول بالتجربة الوجودية الفردية الداخلية وبمعايشة الواقع وجدانياً أكثر منه عقلياً ثم يبرز اكتشاف المعاني الأساسية في الوجود الإنساني العدم أو الفناء أو الموت وخطيئة ..الوحدة واليأس وعبثية ثم القلق الوجودي ثم قيمة الحياة أو الوجود ثم معناه الصادق الملتزم باحترام القيم الإنسانية الخالصة وحقوقه وحرياته.. وقد يتجه القلق الوجودي بالفرد إلى ثلاث أنماط من الناس: رجل الجمال : هو الذي يعيش للمتعة واللذة ويسرف فيها.. وشعاره (تمتع بيومك) (أحب ما لن تراه مرتين) ولا زواج عند هذا الرجل ولا صداقة.. والمرأة عنده أداة للغزو وليست غاية.. ورجل الأخلاق: وهو الذي يعيش تحت لواء المسؤولية والواجب نحو المجتمع والدولة والإنسانية.. ولذلك فهو يؤمن بالزواج ولكن لا علاقة له بدين أو غير.. ورجل الدين: وهو عندهم لا يحيا في الزمان.. فلا صبح ولا مساء.. ولهذا فهو متجرد عن الدنيا.. وأحواله في الجملة هي تلك الأحوال المعروفة عند الصوفية.. وقد تقع هذه الأنواع والصنوف لرجل واحد فيتدرج من المرحلة الجمالية إلى المرحلة الساخرة.. وهذه تؤدي إلى مرحلة الأخلاق التي تسلمه بدورها إلى العبث ومن العبث يبلغ

(ولن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها. وهي أن أصبعاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية.. وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان.. فاليهودي (كارل ماركس)[1] وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأخلاق والأديان.. واليهودي

المرحلة الدينية.. ويستطيع الإنسان ان يحل مشاكله بارادته وحريته فالإنسان مجبور أن يكون حراً.. ويطلب الوجوديون من الإنسان أن يكون نفسه بمعني أن يلتزم بطريقة يرضاها.. ويؤكدون على قيمة العمل.. والمرض النفسي عند الوجوديين هو (موقف انفعالي) تجاه الوجود والعدم.. وهو بالأحرى ليس مرضاً مستقلاً بل تحولاً وجودياً وكذلك يهتمون بالعلاج بالزمن أي أن ينسى الفرد الماضي ويتطلع إلى المستقبل كحل لمشاكل.. ويرى رجال الفكر الغربي أن "سورين كيركجارد" (١٨١٣ - ١٨٥٥م) هو مؤسس المدرسة الوجودية.. من خلال كتابه "رهبة واضطراب".. وشهر زعماء الوجودية المعاصرين هم: جان بول سارتر الفيلسوف الفرنسي.. والقس جبرييل مارسيل وهو يعتقد أنه لا تناقض بين الوجودية والمسيحية.. وكارل جاسبرز: فيلسوف ألماني.. وبليز باسكال: مفكر فرنسي.. وبيرد يائيف.. شيسوف.. سولوفييف في روسيا.. وهم يؤمنون إيماناً مطلقاً بالوجود الإنساني ويتخذونه منطلقاً لكل فكرة.. ويعتقدون بأن الإنسان أقدم شيء في الوجود وما قبله كان عدماً وأن وجود الإنسان سابق لماهيته.. يعتقدون بأن الأديان والنظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الإنسان.. ويقولون إنهم يعملون لإعادة الاعتبار الكلي للإنسان ومراعاة تفكيره، الشخصي وحريته وغرائزه ومشاعره.. ويقولون بحرية الإنسان المطلقة وأن له أن يثبت وجوده كما يشاء وبأي وجه يريد دون أن يقيده شيء.. يقولون إن على الإنسان أن يطرح الماضي وينكر كل القيود دينية كانت أم اجتماعية أم فلسفية أم منطقية.. لا يؤمنون بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الناس وتضبطه إنما كل إنسان يفعل ما يريد وليس لأحد أن يفرض قيماً أو أخلاقاً معينة على الآخرين.. والوجودية تنقسم إلى قسمين: (وجودية) ملحدة.. و(وجودية مسيحية).أما الوجودية الملحدة فمن أبطالها في عصرنا الحاضر: (جان بول سار تر) ولسارتر آراء خاصة حول (الكون) و(الإنسان) و(النظام) و(الأخلاق) وما إليها.. وكثيراً ما يميل إلى صب آرائه في القوالب القصصية.. مما يجعل فهم آرائه أصعب.. والوجودية ليست مبدءاً اخترعها هو بل كانت من ذي قبل وإنما نفخ فيها وجعل لها قوالب جديدة.. أما الوجودية المسيحية فمن أبطالها : (جابريل مارسال). وهاتان الوجوديتان.. وإن كان بينهما نقاط من التفاهم.. إلا أن بينهما نقاطا أكثر من التخالف.. كالاختلاف الكثير بين اتجاهات رجال كل تيار من (الملحدة) و(المسيحية) فالوجودية فرق ومذاهب.. وإن جمعت الكل خطوط رئيسية..

١) كارل ماركس (٥ مايو ١٨١٨ إلى ١٤ مارس ١٨٨٣).. كان فيلسوفًا ألمانيًا.. سياسي.. وصحفي.. ومنظّر اجتماعي.. قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية.. لذلك يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية.. ويعتبر مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعي.شكل وقدم مع صديقه فريدريك إنجلز ما يدعى اليوم بالاشتراكية العلمية.. (الشيوعية المعاصرة) . وُلِدَّ ماركس بمدينة (ترير) في ولاية (رينانيا) الألمانية سنة ١٨١٨م والتحق بجامعة بون عام ١٨٣٣ لدراسة القانون.. أظهر ماركس اهتماماً بالفلسفة رغم معارضة والده الذي أراد لماركس ان يصبح محامياً.. وقام ماركس بتقديم رسالة الدكتوراة في الفلسفة سنة ١٨٤٠ وحاز على شهادة الدكتوراة وصفه أحد أصدقائه بأنه عريض المنكبين واسع الجبهة كثيف الشعر وداكن إلى حد الزرقة.. كان حيويا نشيطا لا يهدأ له بال لا ينام إلا أربع ساعات في اليوم.

دركيم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة.. ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب.. واليهودي ـ أو نصف اليهودي ـ (سارتر)[1] وراء الوجودية التي نشأت معززة لكرامة الفرد فجنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال.

ومن الخير أن تدرس المذاهب الفكرية.. بل الأزياء الفكرية كلما شاع منها في أوروبا مذهب جديد.. ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة العأرضة والتدبير المقصود"

وقل مثل ذلك في العلامة (سيجموند فرويد)[2] اليهودي الذي هو من وراء علم النفس يرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية والفنية والصوفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية.. كي يبطل قداستها.. ويخجل الإنسان منها ويزهده فيها.. ويسلب الإنسان إيمانه بسهوهاً ما دامت راجعة إلى أدنى ما يرى في نفسه وبهذا تخط في نظره صِلاته

توفي كارل ماركس في ١٤ مارس ١٨٨٣ ودفن في مقبرة هاي جيت بلندن.. يقول صديقة فريدريك انجلز عندما دخلت إلى البيت وسألت العاملة التي في المنزل عن ماركس قالت لي انه نائم وعرفت الامر وركضت إلى غرفته ووجدته ميتاً وقلت الآن توقف أعظم عقل في التاريخ عن التفكير... فعلا ان ماركس من اعظم عقول التاريخ الماركسية

(١) جان بول شارل إيمارد سارتر (٢١ يونيو ١٩٠٥ باريس - ١٥ أبريل ١٩٨٠ باريس) هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو و ناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي.. بدأ حياته العملية أستاذاً.. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية.. حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا.. انخرط سارتر في صفوف المقاومة الفرنسية السرية.. حياتهوقد ساهم أيضاً في إعطاء الجزائر استقلالها ووقف امام حركة بلاده الاستعمارية وكان قوله المشهور السلام هو الحرية

(٢) سيجموند فرويد (٦ مايو.. ١٨٥٦ - ٢٣ سبتمبر.. ١٩٣٩).. هو طبيب نمساوي.. عصبي ومفكر حر.. يعتبر مؤسس التحليل النفسي.. وكان سيجموند فرويد طبيب الأعصاب النمساوي الذي أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث.. فرويد هو الذي اشتهر بنظريات العقل واللاواعي.. وآلية الدفاع عن القمع وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي.. فرويد اشتهر بتقنية إعادة تحديد الرغبة الجنسية والطاقة التحفيزية الأولية للحياة البشرية.. فضلاً عن التقنيات العلاجية.. بما في ذلك استخدام حرية تكوين الجمعيات.. ونظريته من التحول في العلاقة العلاجية.. وتفسير الأحلام كمصادر للنظرة الثاقبة عن رغبات اللاوعي.. في حين أن كثيراً من أفكار فرويد قد أصبحت غير صالحة أو قد تم تعديلها من قبل المحافظين الجدد في نهاية القرن ٢٠ ومع التقدم في مجال علم النفس بدأت تظهر العديد من العيوب في كثير من نظرياته.. أساليب وأفكار فرويد تبقى مهمة في تاريخ الطرق السريرية وفي الأوساط الأكاديمية.. وأفكاره لا تزال تؤثر في بعض العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

بأسرته ومجتمعه والكون وما وراءه. ولو جعل فرويد الغريزة الوالدية (الأبوة والأمومة) هي المرجع لكان أبعد من الشطط والشناعة وأدنى إلى القصد والسداد.

وقل مثل ذلك في علم مقارنة الأديان التي يحاول اليهود بدراسة تطورها ومقارنة بعض أطوارها ببعض. ومقارنتها بمثلها في غيرها أن يمحو قداستها ويظهروا الأنبياء مظهر الدجالين.

وكذلك حركة الاستشراق التي تقوم على بعث الكتب القديمة. فهي في العربية تزحم مكاتبنا بأتفه الكتب التي لا تفيد علماً.. ولا تؤدب خلقاً.. ولا تهذب عقلاً.. فكأنما تؤسس المكاتب لتكون متاحف لحفظ هذه الموميات الخالية من الحياة.

والتي لا يمكن أن تحيي عقلاً أو قلباً أو ذوقاً. لا. بل هي تغري الإنسان - لتفاهة محتوياتها وكثرتها وتفككها - بالنفور منها إذا كان سليم الطبع والعقل. أو تحمله على التمسك بتفاهاتها فتورثه الغرور والغباء والكبرياء. وكذلك يروج اليهود كل المعارف التافهة والشهوانية والإلحادية فينا وفي غيرنا الآن .

وليلاحظ أنه من الغباء القول بأن اليهود هم القائمون بكل هذه الحركات السياسية والفكرية والاقتصادية.. فبعضها من عملهم وعمل صنائعهم.. وبعضاً من عمل غيرهم إنسانياً أو طبيعياً. ولكنهم هم كالملاح الماهر ينتفع لتسيير سفينته بكل تيار وكل ريح مهما يكن اتجاهه.. ويسخره لمصلحته سواء كان موافقاً أو معاكساً له.

هل ينجح اليهود في تأسيس مملكة عالمية؟

الجواب: لا. دون تردد.

أن سلطة دولتهم اليهودية - على النمط الغريب الذي وصفنا هنا - شيء يختلف عما وعدتهم به كتبهم المقدسة.. ويختلف كل الاختلاف عن إقامة مملكة أوتوقراطية عالمية تستعبد العالم لمصلحة اليهود على النحو الذي فصل هنا في البروتوكولات.. ويجلس على عرشها مسيحهم المنتظر ملكاً وبطريركاً معاً على نحو ما يدبرون.. فإن تكوين هذه المملكة المقدسة مستحيل كل الاستحالة واقعياً لاسباب يكفي الأشارة

إلى أجدرها بالذكر. وهي التي توحي بأنها تساعد على قيام هذه المملكة على حين أنها تحول دونه:

- من الحقائق القائمة الآن عملياً تشابك المصالح الاقتصادية والمواصلات ونحوها عالمياً.. حتى صارت أقطار الأرض كأنها أعضاء جسم حي واحد فلا تحدث أزمة في بلد حتى يرى أثرها في ابعد البلاد عنها.. كما لا يمرض عضو في الجسم الحي إلا تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.. وذلك دليل اتجاه العالم نحو الائتلاف وهو ما يعمل له اليهود ويحاولون استغلاله لإقامة مملكتهم المقدسة.
- ولكن هناك حقيقة أخرى واقعة تفسر لنا هذا الاتجاه ومداه وحدوده.. وهي أن الوحدة الإنسانية لا مكان لها حتى الآن في ضمير البشر.. وما يزال راسخاً في ضمير الإنسان ولاؤه لنفسه وأسرته ووطنه ودينه.. وكلها مما يحول دون قيام الإئتلاف العالمي الذي لا يرضي هذه العواطف ولا يحقق مصالح الشعوب المختلفة جميعاً.
- فكيف نتصور قيامه في صورة مملكة أوتوقراطية تهدر كل حقوق الناس ومصالحهم لأجل سيادة طائفة قليلة سواء أكانت من الآلهة أم الملائكة فضلاً عن أن تكون طائفة اليهود الذين لا يعترفون لغيرهم بحق ولا يرغون له حرمة.
- ما نجحت - في أي عصر ولا مكان - حركة عامة أو خاصة للجمع بين جانبين إلا كانت ذات رسالة تحقق مصالحها معاً ولو كان ظاهراً فيها تسخير جانب لآخر كي يخدمه.. فإذا كانت كذلك بقيت للحركة وظيفتها وبقيت الصلة قائمة ضرورية.. لأن المغلوب.. لا قدرة له بدون إهدار مصالحه على التخلص من الغالب. بل تبقى الصلة ويحرص عليها الجانبان معاً ما دامت تؤدي رسالتها.. ولكن كان الفريق السيد أضعف من المسود.
- وهذا سر خطير من أسرار الاجتماع والتاريخ والسياسية.. وهو يعلل لنا مع بساطته ووضوحه وعمقه كثيراً من مشكلات التاريخ والاجتماع والسياسة..

ومن ذلك نجاح الرومان والعرب والعثمانيين في الإبقاء على إمبراطورياتهم حتى في عصور ضعف حكوماتهم وجيوشهم.. وهو يعلل نجاح الاستعمار في العصر الحديث ثم خيبته.. فقد نجح عندما كانت الأساطيل وسائل المواصلات بين أجزاء الأرض.. والقوة البوليسية التي تفتح البحار لكل قادر.. وتحمي السفن من القراصنة.. وتمنع احتكار أحد جانباً من البحار دون غيره.. ونجح الاستعمار الإنجليزي في الهند طويلاً.. إذ كان الإنجليز هم عوامل التواصل وتبادل المنافع بين الهند وغيرها من البلاد وكانوا عوامل التواصل بين أقطار القارة الهندية المتنائية وسلطاتها المتنازعة.. وكف بأس كل سلطة عن الأخرى.. وذلك عن طريق وحدة الحكم واللغة (الإنجليزية) والتعليم (الأوروبي) والتجارة. فالهنود لاختلاف لغاتهم لا يتخاطبون إلا بالإنجليزية.. وهناك غير اللغة من أسباب التقريب والتوحيد بين مصالح الهنود أنفسهم.. وكلها لم تكن لتتحقق بغير الإنجليز.. فلما ساروا تحت حماية الاستعمار في طريق الاتحاد شوطاً بعيداً فطنوا إلى مساوئ الاستعمار وشدة وطأته وتطفله عليهم.. مع أن هذه الشرور كانت أولاً أشد وأعنف منها أخيراً.. وقل مثل ذلك في قيام الكومنولث البريطانية.. وقيام الخلافة العثمانية وهي في أشد حالات الفوضى والفقر والفساد. ولما استنفد الاستعمار رسالته انحل من تلقاء نفسه.. وهكذا طواغيت قريش المختلفون على وضع الحجر الأسود عند بناء الكعبة إلى حد التقاتل قد اتفقوا أن يضعه أول داخل (ولو كان عبداً أو طفلاً).. وهكذا تقوم الصلة بين الزوجين أحياناً وأن كان كل منهما يمقت الآخر أشد المقت ولكنه يخشى عليه هبة النسيم.. لأن تشابك المصالح الضرورية بينهما كتربية الأولاد يجعلها لا تتحقق إلا في ظل هذه الزوجية الممقوتة.

- وليس للمملكة الإسرائيلية على النحو الذي وصفه اليهود أية رسالة عالمية.. والعالم غير مهيىء لها.. فلا تستطيع قوى السموات والأرض أن تُكره الأمم جميعاً على إهدار مصالحها من أجل اليهود ولو كانت تلك هي إرادة (يهوه رب

الجنود) وفرق بعيد بين تشابك المصالح اليهودية مع مصالح الدول الكبرى والصغرى منفردة بكل دولة.. وهو سر نفوذهم.. وتشابك هذه المصالح مع مصالح الدول مجتمعة.

- يظهر من تطور التاريخ كما يرى العقاد ـ أنه متجه إلى الاعتراف بالحرية والكرامة الإنسانية لكل إنسان.. لأنها مناط المسؤولية الذي يميز إنساناً من إنسان.. وأمة من أمة.. وهذه حقيقة راسخة في بنية الإنسان فرداً ومجتمعاً رسوخ إنسانيته.. باقية بقاءها.. فكل ما يصطدم بهذا الاتجاه أو يعاكسه فمصيره الانهيار.
- والمملكة الإسرائيلية العالمية المرسومة هنا تهدر كل حق وكل كرامة لغير اليهود.. وتحتكر لهم المصالح فوق ذلك فلا سبيل إلى قيامها.
- إن اليهود لا يتعاطفون ولا يتعاونون إلا مشتتين شاعرين بالخطر العام ضدهم.. وبأنهم ـ إذا لم يتعصبوا ويتعاونوا ـ ذائبون في الأمم لا محالة لقتلهم محلياً وعالمياً. فإذا أحسوا بالأمن نزع الشر الكامن في دخائلهم الممسوخة.. وتبيغت قلوبهم بالدم الفاسد.. وثارت بينهم العداوة والبغضاء.. وأن كرههم عنيف وقتالهم شديد.. فمصيرهم ـ إذا أمنوا ـ أن يفني بعضهم بعضاً.. فهم كما قال نيتشه "عش في خطر" وقد أحسن القرآن وصفهم.. إذ قال: "(لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ)[1] فمصلحتهم في التشتت وهو سبب من أسباب مكنت لهم من التسلط محلياً وعالمياً.. وجنبتهم شر الخلافات الحادة بين بعضهم وبعض.
- وهناك حقيقة دون ما قدمنا أهمية ـ وأن كانت جديرة بالنظر ـ هي قلة عددهم محلياً وعالمياً.. فعددهم في العالم لا يبلغ عشرين مليوناً. ولا يمكن أن ينجح هذا العدد ـ إذا اجتمع في مكان فيتسلط على العالم.. ولو اوتي كلم نهم من

(١) قرآن كريم.. سورة الحشر.. آية (١٤)..

القوة العقلية والخلقية والعضلية حظ مائة إنسان . وأن نجاح اليهود مشتتين مقنعين في النفوذ العالمي شيء ونجاحهم مجتمعين مكشوفين شيء آخر.. وسواء أكان القائم بالمشروع والواعد به إلههم (يهوه رب الجنود)أم اجتمعت عليه ووعدت به آلهة السموات والأرض ـ فليس هذا المشروع قابلاً أن يتحقق ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

المبادئ الصهيونية شر من المبادئ المكيافيلية

ومما لوحظ على البروتوكولات منذ ظهورها في الروسية حتى انتشارها في لغات أخرى أن بعض الطغاة وأعوانهم يتخذونها دستوراً لهم في الحكم والسياسة جزئياً أو كلياً.. وقد يجنح ذلك ببعض المتعجلين إلى مؤاخذة نقلتها في ذلك كأنهم الذين أغروا أولئك الطغاة بالطغيان وعلموهم وسائله.. وكأنما أولئك الطغاة لو لم يقفوا على هذه الوثائق قلما نزعوا إلى الطغيان ولا عرفوا إليه سبيلا.

والملاحظة لا تخلو من صحة وعدل.. ولكن المؤاخذة من جميع وجوهها باطلة ظالمة.. وهي فوق ذلك سخيفة.. والداء كما يعلم المطلعون قديم.

فمما صرح به روزنبرج الذي كان يلقب "فيلسوف النازية" أنه اطلع على البروتوكولات وانتفع بها في وضع فلسفته السياسية.. وكان عوناً للطاغية هتلر في سياسته القومية والعالمية التي تشبه سياسة البروتوكولات مع وضع الألمان منها مكان اليهود ليكون له سلطان أمته.. ويكون لأمته سلطان العالم.. وقد اضطهد اليهود وفق الوسائل التي رسمتها البروتوكولات فجرعهم ما أعدوا للعالم من الزعاف والزعاق.

ومهما يكن من تأثير روزنبرج البروتوكولات في فلسفته السياسية.. ثم من تأثيره في هتلر ـ وهذا ما لا دليل عليه ـ فإن هتلر ما كان ليطغى لولا أحوال أمته الجغرافية والتاريخية قديماً وحديثاً.. وهذه الأحوال وحدها هي التي تمكن كل حاكم لألمانيا من الطغيان سواء كان كأكبر أمرائها في ضخامة الحسب والنسب.. أو كان الجاويش النقاش المعتوه هتلر في قماءة حسبه ونسبه.

ومن يطالع تاريخ الأمة الألمانية في القرنين الأخيرين ولو بالإجمال.. ويقف على شيء من روحها القومية.. لا يعجب لاحتمالها ما يسومها حكامها من استبداد مع تقدمها في الثقافة والحضارة.. وهو استبداد لا تطيقه امة أقل منها عدداً وثقافة وحضارة لو كانت أحوالها التاريخية والجغرافية خيراً من أحوال هذه الأمة الضخمة.. وكذلك من يطالع لمعاً من الفلسفة السياسية الألمانية ونظرياتها في الدولة قبل هتلر لا يعدم فيها كل جذور السياسة الهتلرية عند أكبر فلاسفة الألمان مثل كنت وهيجل ونيتشه.. وكلهم قد ماتوا قبل ظهور البروتوكولات.. وقبل تكوين روزنبرج فلسفته السياسية التي لا تعدو أن تكون صورة متأصلة مضطربة للفلسفة السياسية عند من سبقوه من كبار فلاسفة الألمان.. وأن كانت صورته أكثر عصرية.

والمطلعون على فلسفة التاريخ يعلمون من حقائقه منذ أقدم العصور إلى أحداثها أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم في أمة إنما تقوم على روح الأمة وأحوالها التي تكونها وتجددها في بطء وأناة مفرطة.. وقد صورت هذه العلاقة أبلغ صورة وأوجزها في إحدى جوامع الكلم النبوية "كما تكونوا يولّى عليكم".. كما صور الزعيم الجاهلي "الأفوه الأودي" أهم جوانب هذه العلاقة على اختلاف أحوال الأمم الاجتماعية والسياسية في أبياته الحكيمة البليغة إذ قال:

"والبيت لا يبتنى إلا له عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمع أوتاد وأعمدة ... وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت ... فإن تولت فبالأشرار تنقاد
إذا تولى سُراة الناس أمرهم ... نما على ذاك أمر القوم فازدادوا"

وكذلك ألمع أديبنا المصري السيد توفيق البكري إلى أساس الطغيان.. إذ قال على نور ماتقدم وغيره.

"لا تعجبوا الظلم يغشى أمة ... فتبوء منه بفادح الأثقال
ظلم الرعية كالعقاب لجهلها ... ألم المريض عقوبة الإهمال"

وقد يعلم المطلعون على التاريخ أن الطغيان أعرق أساليب الحكم في أعرق عصور الهمجية وأن صور أساليب الديمقراطية تختلف اختلافاً كبيراً في بواعثها ووسائلها وغاياتها ودعاواها الصحيحة والزائفة ثم في مظاهرها أيضاً.. باختلاف بيئات الأمم واحوالها وخلائقها.. وإما أسلوب الطغيان فإن حكوماته كالتوائم ومظاهره حيث كان "قريب حين تنظر من قريب" كما قال حكيمنا المعري.. وقلما تختلف أي صورتين للغطيان مع تباعد الأزمنة والأمكنة. كما أن مرجعه في النفوس وحد هو اضمحلال الجماعة لتخلف وعيها السياسي.. أو اضطراب معايشها.. أو تفكك أواصرها.. أو تخادل هممها.. أو فتور نخوتها.. وحيث يكون القصور عن غفلة أو ضعف تقوم وصاية الطغيان بخداعه وغشمه.. وأما حيث لا غفلة فلا خداع.. وحيث لا ضعف فلا غشم.. ولا حاجة بعد ذلك إلى وصاية طاغية ولا قيام لطغيان.. إنما هي ثقة بين الكبار والصغار تحفز الجميع إلى التعاون بالقسط على جلب المنافع ودفع المضار مشتركين.. وكل شريك وحظه من القوة والامانة.

ثم من الفرصة المتاحة عن تراض أو نحوه بين الكبار والصغار.. مع بقاء الكبير على كبره دون تيه ولا تطاول.. وبقاء الصغير على صغره دون خزي منه ولا ذلة.

ومن هذا العرض يظهر لنا السخف والتهافت في المواخذة التي يعقب بها النقاد المتعجلون على نقل البروتوكولات بين اللغات.. ونشرها بين الأمم ليحذروها الخطر اليهودي.. مع أن هذا النشر والتحذير واجب حتم على كل من استطاعه بقوته وأمانته وفرصته.

وهذا النوع من المؤاخذات السخيفة المتهافتة التي ينزلق إليها الفكر الضيق الطائش بلاء قديم أيضاً في تاريخ البشر.. فعندما نشر أديبنا الجاحظ[1] قبل أحد عشر قرناً

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري (١٥٩-٢٥٥ هـ) أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي.. وُلِدَّ في البصرة وتوفي فيها.. تعود أصوله لزنج.. وكان جده من عبيد شرق أفريقيا.. كان هناك نتوء واضحٌ في حدقتيه فلقب بالحدقي ولكنَ اللقب الذي التصق به أكثر وبه طارت شهرته في الآفاق هو الجاحظ.. عمّر الجاحظ نحو تسعين عاماً وترك كتباً كثيرة يصعب حصرها.. وإن كان البيان والتبيين وكتاب الحيوان والبخلاء أشهر هذه الكتب.. كتب في علم الكلام والأدب والسياسية والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة والنساء

كتابه "حيل اللصوص"آخذه بعض معاصريه وتابعيهم بين اعدائه وأعداء مذهبه الاعتزالي بأنه يروج هذه الحيل فيعلم السرقة ويغري بها.. كأنهم لم يفطنوا إلى حقيقة لا خفاء فيها على نظر بريء من الغرض.. هي أن الجاحظ أراد من كشف هذه الحيل تحذير الناس من الوقوع فيها.. وتبصيرهم بها حتى لا تكون أموالهم وأرواحهم نهباً يسيراً للمحتالين.. وكذلك اتهموا بتعليم التجار الغش وإغرائهم به حين كتب يكشف وسائل غش السلع.. ولم يكن الرجل في هذه التهم إلا مظلوماً في نيته ونتيجة عمله معاً.. فإن عدد الأشرار من اللصوص وغششة التجار لم يزد واحداً بعد انتشار كتب الجاحظ في حيل اللصوص وغش التجارة.. بل نقص عدد المخدوعين كثيراً.

وهل كان للجاحظ وغيره من ذوي الأقلام ولا سيما من ينهجون نهجه في النية والتأليف إلا كمن يرفع مصباحاً في طريق كثيرة العقبات والمنعطفات والمعاثر والمزالق كي يكشفها للسارين فيحذروها.. وفيهم البررة والفجرة؟.

من هؤلاء السارين من خرج مستضيئاً بالمصباح إلى حيث يصلي لله.. أو يزور صديقاً.. أو يعود مريضاً.. أو يصل رحماً.. أو يقضي لنفسه أو لغيره حاجة في حق.. أو نحو ذلك من أعمال البر.. ومن السارين لاشك من يخرج مستضيئاً بالمصباح طمعاً في السطو أو الغيلة أو الريبة أو نحوها من أعمال الفجور.. ولكن أيقترح عاقل ترك الطرق مظلمة لتعجيز أولئك كالفجرة ليلاً عما يجرمون؟ وماذا يمنع من المضي مع هذا الاقتراح السخيف إلى مداه فنعترض على شروق القمر ثم شروق الشمس بحجة أن الظلام من عوائق الجريمة والنور من ميسراتها والمغريات بها أحياناً؟ ثم أليس النور عوناً للشرطة حماة المن على مطاردة المجرمين؟.

وغيرها.. قال ابن خلدون عند الكلام على علم الأدب: «وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة كتب هي: أدب الكاتب لابن قتيبة.. كتاب الكامل للمبرد.. كتاب البيان والتبيين للجاحظ.. وكتاب الأمالي لأبي علي القالي.. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها».. ويتحدّث كتّاب السير عن نهايته في عام ٨٦٨ م وقد نيف على التسعين سنة.. وله مقالة في أصول الدين وإليه تنسب الجاحظية.. وقد هدّه شلل أقعده وشيخوخة صالحة.. عندما كان جالساً في مكتبته يطالع بعض الكتب المحببة إليه.. فوقع عليه صف من الكتب أردته ميتاً.. فمات الجاحظ مدفوناً بالكتب.. مخلفاً وراءه كتباً ومقالات وأفكاراً ما زالت خالدةً حتى الآن.

لئن كان أحد أولى بالمؤاخذة على ما سطر فهو مكيافلي صاحب كتاب "الأمير" The prince الذي فصل بين السياسة والأخلاق.. وسوغ فيه مبادئ الحكم المنافية للآداب الإنسانية.. ومن أفظعها مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" حتى استحقت كل سياسة غاشمة خادعة دنيئة أن تنسب اليه فيقال انها "سياسة مكيافلية".

ولقد نُسِبَ إلى كتاب (الأمير) أنه أغرى كثيراً من الحكام بالطغيان ولا نجد حجة واحدة على صحة هذه التهمة.. أو لا نجد حاكماً كان باراً في سياسته فمسخته قراءة الكتاب طاغية.. أو حاد عن العدل واللين إلى الظلم والقسوة.. ولم يزد الطغاة واحداً بظهور مكيافلي وكتابه.. ولا استفاد الطغاة ولا أعوانهم من ذوي الألسنة والأقلام مسوغاً جديداً للطغيان من كل ما حشد هذا الغر المغرور في كتابه الأمير وسائر كتبه.. ولا من كل ما حشد أمثاله من فلاسفة السياسة.. وكل ما استفاده قراؤها هو ما استفاد قراء كتب (الجاحظ) في حيل اللصوص وغش التجارة.. وأن اختلف المؤلفان في ذلك غرضاً وأسلوباً.. فالجاحظ لم يكن لصاً ولا مسوغاً للصوصية.. ولا تاجراً غاشاً ولا مسوغاً للغش في التجارة.. و(مكيافلي) لم يكن طاغية وأن سوغ لبعض الحكام الطغيان.. وكلاهما صاحب بحث ونظر لا صاحب تدبير وعمل.. وكل حوله وحيلته أن يكتشف ثم يكشف لغيره وسائل أصحاب الحولة والحيلة.. وأن استهجن الجاحظ مسلك مجرميه عن فطنة وكرامة.. واستحسن مكيافلي مسلك مجرميه في غفلة لا مهانة .

ونقل البروتوكولات في تراجمها المختلفة أشبه بالجاحظ في النية والعمل والغاية.. وأن كان كاتبها ومقروها الصهيونيون أشبه بمكيافلي عملاً.. وشراً منه في نيته وغايته.. وهم يغترفون من كتابه معظم أسسهم وتفسيراتهم السياسية ولا سيما في القسم الأول من البروتوكولات.. كما ألمعنا إلى ذلك في بعض المواضيع.. ومن الفروق بين مكيافلي وبينهم أن نظرته الاجتماعية جزئية ونظرتهم شاملة.. والنطاق الذي يستبيح هو فيه مبادئه غير الأخلاقية لا يتعدى دولة محدودة في بقعة لفترة معينة تنتهي بانتهاء الفتنة

فيها وكبح أصحابها الذين مزقوا الأمة وعاثوا فيها فساداً.. والنطاق الذي يستبيحون فيه مبادئهم غير الأوقات سواء كانوا في الطريق إلى السلطة أو كانوا على قمتها.

والطاغية عند مكيافلي لا ينكر الأخوة الإنسانية أساساً بينه وبين المفسدين من أصحاب الفتن.. ولا يفترض العداء الأصيل الدائم بينه وبينهم.. فضلاً عن أن ينظر هذه النظرة إلى سائر الرعية في الأمة ومكيافلي لا يسوغ للطاغية وسائله الإجرامية إلا مع هؤلاء المفسدين الذين يعولون في سلطانهم على نشر الفتن في الأمة وحماية كل فتنة بالعنف والخديعة. والطاغية بين أعدائه المفسدين كما تعرض الصورة المكيافلية في أبشع الأوضاع إنما هو لص بين لصوص.. ولكن اللص الطاغية أبعد همة واعظم كفاية وأشد قوة.. ثم هو بعد ذلك ألين مساساً بسائر الرعية وأقرب إلى مصلحتها العامة وأنزع إلى خيرها الشامل.. ومن هنا تسوغ له الشنع معهم.. وأن كان هو وهم لصوصاً في معاملة بعضهم بعضاً.

أما الطغيان الصهيوني في البروتوكولات فهو قائم على إنكار الأخوة الإنسانية أساساً بين اليهود الطغاة وسائر الأمم.. وهو يفترض العداء الدائم بين اليهود والطغاة حتى سائر الرعية أو الأمم لاختلافهم عنهم في أصل الطبيعة وأساس الاجتماع.. وهذا أشد أنواع الطغيان إجراماً وخبثاً.

ومكيافلي لا يسوغ لطاغيته جرائمه إلا لدفع مكروه أكبر في نظره ونظر كل حصيف. هذا المكروه هو اختلال الأمن والنظام في أمة حين تنازعها سلطات ظالمة متدابرة الأهواء والمصالح.. كل همها استنزاف خيرات الأمة وإثارة الفتن بين صفوفها أو إبقاء الفتن الناشئة بينها. كان هؤلاء المتسلطين المتنازعين عصابات اللصوص أو القراصنة أو قطاع الطرق في البحر والبر ويتنازعون السلطة.. وهمهم جميعاً أسلاب المارة الوادعين في الطريق.. فيحاول الطاغية عندئذ القضاء على هذه العصابات بوسائل من جنس وسائلها دون أن يتسلط مثلهم.. بل ليعيد الأمن والنظام إلى الجميع.. وذلك قول الداهية الأريب (عمرو بن العاص) في وصية ابنه:

"يا بني.. موت ألف من العلية أقل ضرراً من النقاع واحد من السفلة. يا بني.. إمام عادل خير من مطر وابل.. وأسد حطوم خير من إمام ظلوم.. وامام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم".

وأما حكماء صهيون أو حمقاها في البروتوكولات وغيرها من أسفراهم فطغيانهم هم وسائر اليهود على الأمم هو طغيان رؤساء القراصنة وقطاع الطرق بمعونة رجالهم ضد المارة الوادعين في البحر أو البر.. وليسوا في شيء من مكيافلي الذي يكتفي بتسجيل حركة الطغيان في ذلك "النطاق المحدود" وأحياناً يسوغه عن غفلة وحسن نية لا عن ضراوة بالشر ولا رغبة في الفتنة والفساد كاليهود.

وطاغية مكيافلي بمثابة الشرطي الذي يتحمل مسؤولية الأمن والنظام بين الناس.. فيحارب العابثين بما يبدو له من وسائل.. ولو كانت من جنس وسائل العابثين.. وقد يخون أمانته عن اختيار أو اضطرار فيسطو على الوادعين بالأذى والسرقة أحياناً.. ولكنه لا ينسى أن أصل عمله هو كفالة الأمن والنظام.. ولكن طاغية اليهود مع سائرهم تجاه غيرهم إنما هو رأس عصابة من العابثين لا هم لها فيما بين أنفسها إلا السطو على الوادعين.. ولا شأن لها بالأمن والنظام إلا حيث يمكنها ذلك من زيادة استنزاف أموال الناس لمصلحتها.

وأخيراً حكماء اليهود واسائرهم إنما هم كلصوص الجاحظ وأما نقله بروتوكولاتهم فانما هم كالجاحظ الذي اكتشف حيل أولئك اللصوص فكشفها للناس ورجال الأمن والنظام رغبة في حماية الأرواح والأعراض والأموال.

وأكبر مسؤوليات أصحاب البروتوكولات هو النية السيئة فيها ثم الخطة الشيطانية ضد سائر الأمم لهلاكها.. ولولا ذلك لما زاد كتابهم على كتاب مكيافلي وأمثاله في الفائدة والضرر.. وربما كانت فائدة كتاب مكيافلي أكبر من ضرره لأنه بيكشف للناس مبادئ الطغيان ووسائله وجنايته على الأرواح والأخلاق.. والملكات والأذواق.. والجهود والأرزاق.. ولا يحول حاكماً من العدل إلى الطغيان.

موقف المفكرين في حرب الصهيونية

أما هذه الملحمة بيننا وبين الشعب اليهودي الذي أحذر خطره.. وأحذر الناس إياه فأنا فيها كما قال الحارث بن عبادة الزعيم الجاهلي:

"لم أكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالي"

وأما مكاني منها فهو مكان الغيور على الإنسانية أن يُستهانُ بحرماتها وقيمها مهما يكن الباعث أو الوسيلة أو الغاية من هذه الاستهانة.. فإن العالم كله لأهل للعنة والهوان.. إذا تواطأ بهما على الاستهانة بكرامة إنسان واحد أو القسوة على حيوان واحد.. فكيف لا يغضب أهل الخير والمروءة حين تتواطأ شرذمة من البشر قلت أو كثرت كما يتواطأ اليهود على الاستهانة بسائر الأمم واحتقارها وإهدار كيانها وحياتها جملة.. لا لباعث إلا الكبرياء والأثرة التي تملي لليهود أن يعتقدوا أنهم شعب الله المختار.. إن سائر الأمم متاع لهم لا قيمة له إلا بقدر ما ينفع اليهود أغلظ أنواع المنفعة.

والله يعلم أنني لا أجاهد الخطر اليهودي إلا عن غيرة إنسانية قبل أن أجاهده عن غيرة قومية أو غيرة دينية.. وليس بيني وبين هذا الشعب ثأراً شخصياً.. فما أعرف أحداً منه نالني بسوء خاص.. بل أراني مديناً بحظ من الفضل لم تلقيت دروسهم أو قرأت كتبهم من أبنائه.. كما أرى الأمم مدينة له ببعض ما علم وعلم.. وأن كنت أرى أن حظه فيما أخذ منها في عالم الثقافة أضعاف ما أعطاها.. وأكبر من ذلك ما أخذ منها في عالم الحضارة ولم يعطها قط إلا حظاً لا يؤبه به في كثير ولا قليل.. فقد كان الشعب اليهودي منذ ظهر عالة على من حوله من الأمم في كل وجوه النشاط الثقافية والحضارية كما كان عالة عليها في اكتساب الرزق والحماية.

وليس ها هنا بالخطر اليهودي صيحة حرب مؤقتة فحسب بسبب الصراع القائم بيننا وبينه اليوم.. ولا صيحة موتور فحسب من صراع سابق أثارها صراع اليوم.. بقدر ما اعد هتافي به صيحة إنسانية من خطر دائم لا سلام معه ولا راحة منه للعالم إلا أن يغير هذا الشعب ما بنفسه من آثار تعاليمه الهمجية كما دلت عليها مواقفه العدائية الشريرة

تجاه سائر الأمم في تاريخه الطويل.. وإنه لتاريخ باك ومبك بما جناه على نفسه من بغضائه الأمم وسعيه لخرابها وفقاً لروح تعاليمه الشيطانية ونصوصها الفاضحة.

ونستطيع أن نجمل ما بنفس هذا الشعب تجاه سائر الأمم.. بأنهما ينظر إليها نظرة (شيئية) كأن هذه الأمم أشياء جامدة لا حس لها ولا إرادة ولا فهم.. فليس لها أدنى حظ من كرامة ولا حق.. وهذه النظرة أو الفلسفة "الشيئية" تهدر حرمة الإنسانية بل حرمة الحياة أو الحيوانية.. وهي أحط من نظريتنا نحن إلى الحيوانات.. لأن نظرنا إليها أخلاقي.. فنحن نشعر دائماً بالعطف عليها.. ونوجب غالباً على أنفسنا البر بها وهذا يحملنا على أن نعرف لها حرمة الحياة ولو كانت شرسة أو مفترسة.. فإن نؤذيها بلا ضرورة.. ولا نقسو عليها عند أحرج الضرورات حتى نتأتم ونغتم.. والندم من آيات التقوى.. وبه تطهر النفوس.

وأن نظرتنا إلى الحيوانات الاجتماعية الداجنة التي طال إلفنا لها - فصرنا وإياها نتبادل الشعور والفهم - لهي نظرة أعلى من ذلك.. لأنها تجاوز بنا العطف إلى المودة.. وترتفع من البر إلى أفق الشعور بالوشائج النفسية الحية بيننا وبينها كأنها صداقة نفوس أو قرابة لحم ودم.

ونظرتنا هذه أو تلك إلى الحيوانات آنسها وآبدها أنبل وأكبر إنسانية من نظرة اليهود أن ندعوها كنظرتهم "شيئية" وأن لم تبلغ نظرتنا إلى أُنس الحيوانات وآبدها أن تكون تناسخية أو برهمية في التقديس أو العبادة.. ولا أن تكون صوفية كنظرة بعض القديسين وهو يناجي الطير فيدعوه "أخي" إذ يشعر له في عمق بصيرته وسعة روحه وصفاء عنصره بوشائج الرحم الحية البعيدة بينه وبين الطير.

بل إن نظرتنا إلى كثير من الجمادات أكرم من هذه النظرة الشيئية اليهودية إلينا فقد ارتقى فينا الإحساس بقيم الجمال والخير والحق عن طريق الدين أو الفن أو العبادة أو العشرة أو الحاجة أو غيرها من طرق الحياة التي يهدينا الله خلالها اليه.. فصرنا أحياناً ننظر إلى كثير من الجمادات حولنا كأنها بعض حياتنا ونعرف لها من الحرمة والكرامة ما نعرف للأحياء من الحيوانات بل الناس.. بل الأصدقاء والأقرباء.. وأن لم

نكن مؤمنين بالحلول ولا بوحدة الوجود.. وأياً كان الدافع بنا إلى هذه النظرة الناسوتية - وهي عميقة القرار في أغوار طبائعنا موصولة الجذور بجذور الحياة فينا - فهي ليست كما ينظر اليهود إلينا نظرة شيئية مقدرة بالمنافع المادية الغليظة القريبة وحدها لصاحبها وحده دون سائر المنافع والمتع الإنسانية الرفيعة من وجدانية وعقلية وذوقية وأخلاقية تعود على صاحبها أو غيره من البشر وعامة الأحياء الشارعة.

وإذا وصفت هذه النظرة أو هذه الفلسفة اليهودية بأنها "شيئية" فهو غاية وسع اللغة وغاية علمي بها مع ما في هذا الوصف من قصور.. ولكن بيان هذا المصطلح هو الذي يجعله وافياً كما يفي كل مصطلح بدلالته.. ولا فإن نظرة اليهود إلينا أحط من نظرتنا الإنسانية إلى الأشياء الجامدة حولنا كم وضحنا من قبل.. ونحن لا ننظر إليهم باعتبارهم أعداؤنا.. وكان من واجبنا إذن أن ندمرها ونرى أن إفسادها قربة إلى الله.. كما ينظر اليهود إلينا بعيون البغضاء.. ويرون فيما أمرهم به ربهم "يهوه" أن يسلطوا علينا عوامل الفساد والإبادة ابتغاء مرضاته وطمعاً في مثوبته وتوقياً لغضبه إذا قصروا في تدميرنا.. فإن لم يفعلوا ذلك فهم الآثمون المستحقون عنده وعندهم لأبشع صنوف النقمة والنكال.

ولا يكن ذلك فأي مسوغ وجداني أو عقلي أو ذوقي أو أخلاقي.. بل أي مسوغ اقتصادي نفعي غليظ بمعزل عن هذه البغضاء الجنونية.. ولو في أعرق الشرائع الهمجية.. يسوغ لغير مجنون أن يبدأ ضعيفاً أو قوياً من الأفراد أو الفرق بالبغضاء ثم الغيلة.. حتى إذا فتح بلداً لم يكتف بالتسليط عليه بل قتل محاربيها ولو كانوا مدافعين لا مهاجمين.. ثم استأصل كل نسائها وأطفالها وشيوخها ثم جميع غنمها وحميرها وسائر حيوانها.. فإذا بلغوا بها غاية التفظيع والنكال أحرقوا مبانيها فتصير أنقاضاً وأطلالاً.

هكذا تقول التعاليم اليهودية كما تذكر توراتهم التي ينسبون إلى موسى كتابتها وحياً من ربهم "يهوه" اله الجنود.. وكما توضح سائر كتبهم المقدسة.. وهم لا يدينون إلا بهذه التعاليم.. ولا ينفذون غيرها في معاملة سائر الأمم.. وبوحي من هذه التعاليم رسخت في نفوسهم بغضاء الأمم.. ونزع عنها ما اشتهروا به من الشغب والشكاسة والمكر

السيء في معاملة غيرهم وفي معاملة بعضهم بعضاً.. فكان تاريخهم سلسلة من المؤامرات والفتن والحروب الدموية فيما بين بعضهم وبعض وفيما بينهم وبين سائر الأمم.. وكانت حروبهم ولا سيما الخارجية وحروب استئصال.. كما فعلوا مع سائر القبائل التي التحموا بها في فلسطين حين دخلوها قديماً.. وكما فعلوا بكثير من القرى والمدن حين اقتحموا فلسطين منذ سنين.. ثم اجلوا عن قسمها الذي قامت فيه دويلتهم إسرائيل سكانه الأصلاء من العرب.. عجزوا عن استئصالهم من جانب.. وزعزعة للدول العربية باجلائهم إليها من جانب آخر.

وهذه التعاليم التي تسوغ كل هذه الفظائع قديماً وحديثاً.. بل تباركها وتفاخر بها جهاراً لا يمكن ان تصدر عن نظرة أخلاقية.. أو نظرة لا أخلاقية أي بمعزل عن الأخلاق.. فتوصف بأنها شيئية فحسب كنظرنا إلى الجمادات.. ولكنها تصدر عن نظرة غير أخلاقية.. أي نظرة ضد الأخلاق.. فهي نظرة شر من النظرة الشيئية أو هي شيئية هدامة.. وهذا هو وصفها الذي ينبغي لها.. ونحن حين نكتفي بأن نسميها "شيئية" من جانب التيسير أو التخفيف في التعبير.. فنحن نقصد بها ما فيها من معنى الهدم.. ولهذا نقاومها كما ينبغي أن نقاوم المبادئ الهدامة التي يسلطها دعاة الفساد من أعداء الإنسانية على المجتمعات البشرية افراداً وطوائف.. ليرجعوا بها القهقري إلى ما قبل عصور الوحشية.. ويمنحونها خلائق شراً من الوحوش الضارية في الأدب والكرامة.

وهذه هو تقديري للخطر الأحمق.. ليس غرضي منه إهدار آدميتهم.. ولا تحدي ظلمهم باضطهادهم أفراداً وفرقاً.. بل الفطنة إلى ما يبيتون للعالم من وسائل التدمير.. ومقاومة ظلمهم حتى لا يغلظ سلطانهم فيتمكنوا من نشر الفساد بين العباد.. وأن كنت أراهم واهمين غاية الوهم في حلمهم بالتسلط على العالم مهما يبلغوا من الحول والحيلة.

وهذا هو موقفي الصريح من الخطر اليهودي.. ولم أقصد فيما أكتب محذراً منه أن أغري دولة أو شعباً باضطهادهم كما توهم ذلك محرر يهودي[1] في صحيفة Actualitee التي كانت تظهر في مصر منذ سنوات. حين كتبت منبهاً إلى هذا

(١) تعمد الأستاذ التونسي عدم ذكر اسم الصحفي اليهودي ربما تحقيراً لشأنه..

الخطر فزعم أني أغري باضطهادهم هنا أو هناك.. وادعى - كما قال - أنني أتصيد لهم الذنوب كما يتمحلها للكلب أصحابه.. حين يريدون إغراقه على ما ورد في أحد الأمثال التي يحسن حفظها ولا يحسن موردها الصحفي الأريب.

وموقفي كما يراه المنصف أنبل مما توهم الصحفي اليهودي من جانب وأعمق من جانب آخر.. هو أنبل لأني اعترف بالآدمية لكل يهودي.. وأن كنت اعتقد أنه وفق عقيدته يهدر آدميتنا.. كما أني اعترف له بكل حُرمات الآدميين وحقوقهم.. وأن كان هو لا يرقب فينا حرمة ولا يصون لنا حرية.. ولست أحاسبهم على ما أُشرِبَت قلوبهم من بغضائنا.. واحتقارنا إذ لا يحاسب الإنسان على نياته إلا الله.. وأن كنت أحذر بمليء فمي النيات الشريرة التي يجارون بها بطراً وفخاراً.. وغاية وسعي بعد ذلك أن أسلم بالواجب الذي لا مفر منه ولا حسباهم على أعمالهم بالعدل دون أن نخشى لومة لائم.. لأنهم ليسوا فوق المسؤولية ولا دونها.. ومن موجبات الدقة في حسابهم ما يجاهرون به من أغراضهم الشريرة لا فساد الأمم وأن فاتهم سلطانها.

وموقفي أعمق من جانب آخر.. فأنا أضع نصب عيني هذه النيات التي تؤحي بها إليهم تعاليمهم الهمجية.. وهي ظاهرة في كل ما لهم من مساع وأعمال.. فأنا لا أحذر خطرهم لأنهم حاربوا قومي أو يحاربوهم فحسب.. ولا لأنهم اقتطعوا إسرائيل من فلسطين فصاروا العدو القريب الدار أو القائم في صميم بلادنا فحسب.. وأن كان كل اولئك من دواعي الالتفات إلى هذا الخطر.. بل أنا احذر خطرهم على الإنسانية أيضاً.. ولو جلوا عن بلادنا إلى أي بقعة في العالم.. لأنهم حيث كانوا أعداء الإنسانية الذين يتربصون بها الدوائر.. ولم تعد أقطار الأرض إليهم دوائر مقفلة: كل دائرة قائمة بنفسها معزولة عن أبعدها.. بل هي دوائر متداخلة كل منها واغلة في سائر الدوائر.. بل إنها - مع توادها بل تعاديها.. وبرضاها وعلى الكره منها - كأنها الجسد الحي إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر أعضائه بالسهر والحمى.. كما تدل على ذلك أوضح الدلالة وأغناها أحداث السنوات الأخيرة.

فحيثما قام لليهود سلطان وهم على هذه البغضاء للأمم فهم خطر على كل من فيها مهما يبعد عنهم موطنهم أو تنقطع بهم صلته في ظاهر الأمر.

ولهذا تبقى مسؤوليات المفكرين والساسة المسؤولين عن الأمم قائمة امام هذا الخطر بعد أن يفرغ الجند من حسابهم معه بالنصر أو المتاركة أو المهادنة أو الصلح ولا ينبغي لصاحب قلم ان يغمده ويغفو عنه ولو ألقى الجندي سلاحه ونام ملء جفنيه:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخراج أَهْلِهِ مِنْهُ أكبر عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أكبر مِنَ القَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[1].

وهذا صوت الحياة.. فإن لم يكن منهم قتال وقتل تكن فتنة شر وأكبر من القتل.

وإذا أُغمِدَ السيف حين لا قتال فلا يغمد القلم ما قامت الفتنة.. وهي قائمة على الدوام.

ولا مفر من قتال كل معتد أثيم حيث ارتفعت يده بالسيف ولسنا نرى "الكف" فنقول لليهود أمثالهم ما قال أحد ابني آدم لأخيه فيما روى القرآن الكريم (لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ)[2] فنحن نخشى الله كهذه الخشية.. ولكنا من أجل هذه الخشية نفسها نلقي سيف الباغي بسيف مثله كرامة للحق الذي امرنا الله بحفظه وفداء في سبيله.

وليس باعثاً على جهاد الخطر اليهودي ونحوه حيث جاهر بالقتال أو الفتنة هو الشعور الديني أو القومي فحسب.. بل هو الشعور بالمسؤولية الأخلاقية الإنسانية.. وليس سندنا هنا هو مجرد الأخلاق الاجتماعية التي نستمدها من المجتمع في بقعة في زمن محدود.. بل شعورنا بالمجتمع الأوسع الذي يشمل الإنسانية في جميع الإعصار والأمصار.. ثم

(١) سورة البقرة آية (٢١٧)..

(٢) سورة البقرة آية (٢٨)..

يتعمق هذا الشعور حتى يلتقي بجذور الوجود متضامناً مع كل ذي عقل وإرادة أو كل ذي مسؤولية فيه بقدرة من القوة والأمانة.

فهو شعور لا تنحصر تبعته أمام فرد ولا طائفة ولا امة ولا مجموع الأمم على اختلاف الأزمنة والأمكنة.. بل يتناول الكون كله جملة بسماواته وأراضيه.. وما وراء ذلك من قوى مدبرة له.. ومدبرة معه.. ومدبرة به.. ومن معان هي ألطف من أن يحيط بها إلا الله.. وأظهر من أن لا يتأثر بها حي ولا جماد وأن جهلها غاية الجهل. وإذا كان المرجع القريب لهذا الشعور هو المجتمع الذي يحيط بنا في أصغر صورة ثم أكبرها فمرجعه البعيد هو الضمير الذي امتلأ بتضامنه مع الكون كله في كماله ونقصه وقوته وضعفه.. وبهذا القسطاس الأخلاقي الكوني أدين نفسي وأدين غيري في الوجود.. وأزن كل ما فيه من أعمال وقيم ومذاهب.. ومن كان يحس بتضامنه هكذا مع الكون كله لم يحس بالوحشة ولو تخلى عنه كل البشر.. ولا وحشة مع انس الضمير بهذا التضامن الابدي.

وعقيدتنا التي هي عزاؤنا وقوتنا في هذه الملحمة بيننا وبين الصهيونية ومثلها إن حربها فريضة إنسانية وليست فريضة قومية فحسب.. وفي كل فريضة إنسانية إنما نعمل على قدر ما توجب علينا قوتنا وامانتنا.. لا لأن أحداً يطلبها منا.. فنرضيه أو يرضينا إذا أديناها.. ويؤاخذنا إذا قصرنا فيها.. فإن هذا الشعور مرجعه الضمير.. صوت الله في نفوسنا.. والروح القدس الذي لا سلطان لاحد عليه.. وهذا الشعور نوع من الحب الذي يغتبط بما يعطي لا بما يأخذ.. وهذا ضرب من الفضيلة في أعلى طبقاتها لا يبلغها إلا المقربون وكل ميسر لما خلق له.. وليس للإنسان إلا ما سعى.. وكل امرء بما كسب رهين.

خطاب إلى العرب

وكل هذا لا يحملنا على الاستخفاف والتهاون امام الخطر اليهودي الذي وضحناه في الفقرة السابقة. فنحن لا نستبعد قيام دولة إسرائيل في فلسطين كلها - إذا لم يتنبه العرب إليها ويحطموها قريباً - وقد تنجح في بسط سلطانها على ما هو أوسع.. ولكننا

نعتقد أن قيامها منوط بتهاون العرب وببقاء سيطرة الأجانب على الشرق الأوسط وخصوصاً قناة السويس: مفتاح الخطر.. ولولا هذا لقضي على إسرائيل في بضعة أيام. فإسرائيل قائمة على أن نعاونها ويبقى الأجانب في أقطارنا.

ثم ان الموازنة بين قوة العرب وقوة اليهود لا توحي باليأس.. ما دام العرب قادرين على التخلص من نفوذ المستعمرين بينهم ومقاطعة إسرائيل.. ونعتقد أن المعركة الجديدة الحاسمة لم تبدأ بعد.. ولم تبذل بلاد الشرق الأوسط لا سيما العربية كل وسعها.. وليس المهم في الصراع - كما قال تشرشل - كسب المعارك بل كسب الحرب.. والدول العربية لا يمكن أن تتحطم من قوة خارجية إلا بعد أن يتصدع بنيانها داخلياً.. فليجدد العرب بنيانهم الداخلي.. ولينقوا أوطانهم من العناصر المتطفلة عليهم.. وليحفظوا أنفسهم من الأدناس.. فطالما كانوا كذلك فهم بخير.. ولا محل إزاء ذلك للتشاؤم.. ولا يهم توحيد الأقطار العربية شكلاً تحت حكم واحد.. بل حسبهم أن تكون كل دولة قوية في ذاتها.. بثروتها وجهود أبنائها وقوة عقولها وأخلاقها.. ولو لم تتحد مع غيرها في الحكم.

إن الجسم القوي لا تقتله الأمراض وأن أوهنته.. فليقو كل منا جسمه مع الحذر من التعرض للأوبئة دون ضرورة.. وليحفظه سليماً. ولست أنصح العرب نصحية نيتشه "عش في خطر"لأن الخطر يتخلل صفوفهم ويحيط بهم من كل جانب.. فهم يعيشون فعلاً في خطر من شهوات أنفسهم ومن أعدائهم ولكني أنصح لهم أن يدركوا الخطر الذي يعيشون فيه.. لا سيما جانبه الداخلي في سرعة وحزم. وليغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم.. فيبعدوا الخطر عن أنفسهم قبل فوات الأوان.

أيها العربي.. أصلح أولاً نفسك ينصلح من حولك كل شيء.. "(وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)).

❖❖❖